

وصف الدنيا

في الكتاب والسنة

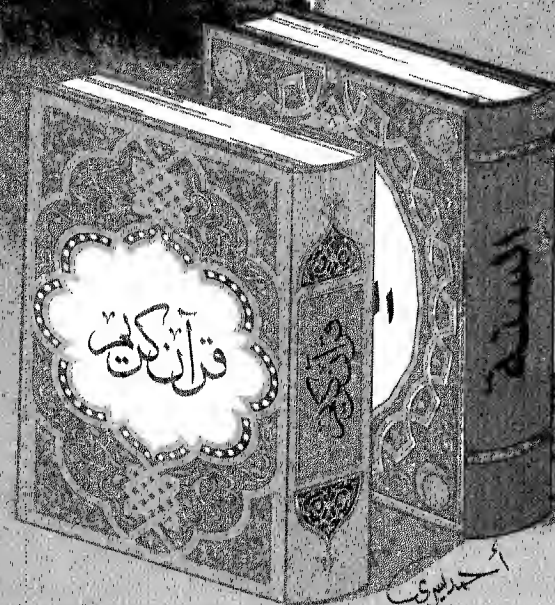


إعداد
خالد رمضان حسن

دار الأمليات

للطباعة والنشر والتوزيع

الاسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩



أحمد مكي

وصف الدنيا

في الكتاب والسنة

تأليف

خالد رمضان حسن

دار الإيمان

للطباعة والنشر والتوزيع

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع حقوق الطبع محفوظة للناسر

رقم الإيداع ١٤٤٦٢ / ٩٩

الترقيم الدولى

977-331-014 -0

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن الله تعالى خلق الدنيا والآخرة ، وجعل الآخرة دار ثواب جزاء ، فهي لمن آمن بالله تعالى : دار ثواب وسعادة ونعيم ، ولمن كفر بالله تعالى : دار جزاء وشقاوة وجحيم .

وجعل تبارك وتعالى الدنيا وسيلة وسبيلاً إلى ذلك ، فجعلها داراً للتكاليف والأعمال والطاعات ، فطوبى لمن وفق فيها إلى غايات الإيمان وجزاؤه ، وتعساً لمن خذل فيها .

قال الحسن - رحمه الله تعالى - :

« نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن ؛ وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة ، وبعمست الدار كانت للكافر والمنافق ؛ وذلك أنه ضيّع ليااليه وكان زاده منها النار » ^(١) .

والإنسان في هذه الدار كما قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه :

(١) « الزهد » للإمام أحمد ، تحقيق / محمد السعيد بسيوني زغلول « ٤٠٠ » دار الكتاب العربي .

الناس سفر .
والدنيا دار ممر لا دار مقر .
وطن أمه مبدأ سفره .
والآخرة مقصده .
وزمان حياته مقدار مسافته .
وسنونه منازل .
وشهوره فراسخه .
وأيامه أمياله .
وأنفاسه خطاه .

يسار به سير السفينة يراكبها ، كما قيل :

رأيت أخا الدنيا وإن كان خافضاً

أخا سفر يسرى به وهو لا يدري ^(١)

واعلم رحمك الله تعالى :

« أن أفات الناس ، وسبب تعبهم وشقائهم هو : حرصهم على الدنيا
والركون إليها ظناً منهم أنها دار الخلد ، ونسوا أو تناسوا أن الدنيا ظل زائل ،
وأنها مطية السائر ، وزاد المسافر ، وقنطرة العابر ، لا دار العامد .

(١) « الذريعة إلى مكارم الشريعة » للراغب الأصفهاني / تحقيق د / أبو اليزيد العجمي (٦٩) دار
الصحوة للنشر .

وفى هذا الكتاب :

[وصف الدنيا في الكتاب والسنة]

مبينين فيه :

- * وصف الدنيا ومثلها في القرآن الكريم ، والسنة المشرفة وأقاويل السلف .
- * الدنيا المذمومة ، والدنيا المحمودة .
- * متاع الدنيا وزينتها .
- * أهل الدنيا وأهل الآخرة .
- * التحذير من الافتتان بالدنيا .
- والله تعالى نسأل القبول والنفع ، إنه سميع مجيب الدعاء ، وصلى اللهم وسلم على محمد خير الأنام ، وعلى آله وصحبه هداة الإسلام .
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

أبو الحارث السويضي السلفي

خالد بن رمضان حسن جاب الله

١ - تعريف الدنيا

* سُميت الدنيا : لدنوها ، ولأنها : دنت ، وتأخرت الآخرة .
وكذلك السماء الدنيا هي القربى إلينا ، والنسبة إلى الدنيا : دنيأوى ،
ويقال : دنيوى ودُنْيَى ... (١) .
والدنيا : نقيض الآخرة ، والدنيا أيضاً : اسم لهذه الحياة لبعدها الآخرة عنها .
والسماء الدنيا لقربها من ساكنى الأرض . ويقال : سماء الدنيا ، على
الإضافة (٢) .

ولقد وردت لفظة « الدنيا » فى القرآن الكريم على نحو مائة وخمسة عشر
مرة ، وردت مضافة إلى الحياة ، وهذا فى قوله تعالى :
﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ
اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .
وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ
الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

وهذا كثير فى كتاب الله تعالى ، ووردت مجردة وهذا فى قوله تعالى :
﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

(١) المعنى : أن المتلبس بالدنيا ، المنهمك فيها ، ينسبوه إليها بقولهم : رجل دنيوى .

(٢) « لسان العرب لابن منظور ، مادة « دنا » .

ووردت مضافة إلى السماء كصفة لها ، وهذا فى قوله تعالى :
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) ﴾ [الملك : ٥] .

قال الزمخشري - رحمه الله تعالى - :
« القريبى ؛ لأنها أقرب السموات إلى الناس ، ومعناه : السماء الدنيا منكم » ^(١) .

وقال أبو حيان التوحيدي - رحمه الله تعالى - :
« السماء الدنيا : هى التى نشاهدها ، والدنو أمر نسبى ، وإلا فليست قرية » ^(٢) .

ومن أسماء الدنيا :

الأولى :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) ﴾ [الليل : ١٢ ، ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) ﴾ [الضحى : ٤] .
وفى تفسير الآية الأولى : « أى الدنيا والآخرة لله تعالى » ^(٣) .
وفى تفسير الآية الثانية : « أى ما عندى فى مرجعك إليّ يا محمد ، خير لك مما عجلتُ لك من الكرامة فى الدنيا » ^(٤) .

(١) « الكشف » للزمخشري « ١٣٥/٤ » دار الفكر - بيروت .

(٢) « تفسير البحر المحيط » لأبى حيان « ٢٩٩/٨ » دار الفكر .

(٣) « تفسير القرطبي » (٨٦ / ٢٠) .

(٤) « تفسير القرطبي » (٩٥ / ٢٠) .

العاجلة :

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ (١٨) [الإسراء : ١٨] .
« يعنى الدنيا ، والمراد : الدار العاجلة ، فُعْبِرَ بالنعته عن المنعوت » (١) .

(١) « تفسير القرطبي » (١٠ / ٢٣٥) .

٢ - وصف الدنيا ومثلها في القرآن الكريم

اعلم رحمك الله تعالى :

أن الله تعالى وصف الدنيا بأوصاف عديدة ، وضرب لها الأمثال ، ومن هذه الأوصاف وهذه الأمثال :

١ - أنها متاع :

قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

في هذه الآية يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ، كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] .

فهو تعالى وحده الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون ، وكذلك الملائكة وحملة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء ، فيكون آخراً كما كان أولاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .
تصغير لشأن الدنيا وتحقير لأمرها ، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة ^(١) .
﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

(١) « تفسير القرآن العظيم » ابن كثير « ٤٣٤/١ ، ٤٣٥ » باختصار .

« أَى تُغَرُّ الْمُؤْمِنَ وَتُخَدِّعُهُ ، فَيُظِنُ طُولَ الْبَقَاءِ وَهِيَ فَانِيَةٌ » .
 والمتاع : مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ وَيُنْتَفَعُ ، كَالْفَأْسِ ، وَالْقَدَرُ وَالْقِصْعَةُ ، ثُمَّ يَزُولُ وَلَا يَبْقَى مَلِكُهُ ، قَالَ أَكْثَرُ الْمُفْسِّرِينَ .
 قَالَ الْحَسَنُ : كَخُضْرَةِ النَّبَاتِ ، وَلَعِبِ النَّبَاتِ لَا حَاصِلَ لَهُ .
 وَقَالَ قَتَادَةُ : هِيَ مَتَاعٌ مَتْرُوكٌ تَوَشَّكَ أَنْ تَضْمَحِلَّ بِأَهْلِهَا ، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ هَذَا الْمَتَاعِ بِطَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا اسْتَطَاعَ .
 وَقَدْ أَحْسَنَ مِنْ قَالَ :

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَذَى وَالْقَذَى

وَدَارُ الْفَنَاءِ وَدَارُ الْغَيْرِ

فَلَوْ نَلَّهَافِيهَا

لَمُتُّ وَلَمْ تَقْضَ مِنْهَا الْوَطْرُ

أَيَا مَنْ يُؤْمَلُ طُنُولُ الْخُلُودِ

وَطُنُولُ الْخُلُودِ عَلَيْهِ ضَرَرُ

إِذَا أَنْتَ شَبِتَ وَبَانَ الشَّبَابُ ^(١)

فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ

وَالْغُرُورُ : ٢ بَفَتْحِ الْعَيْنِ : الشَّيْطَانُ ، يَغُرُّ النَّاسَ بِالْتَّمَنِيةِ وَالْوَعْدِ الْكَاذِبَةِ .

قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ : الْغُرُورُ مَا رَأَيْتَ لَهُ ظَاهِرًا تَحِبُّهُ ، وَفِيهِ بَاطِنٌ مَكْرُوهٌ أَوْ مَجْهُولٌ .

(١) أَى : بَعْدَ وَانْفِصَالِ .

والشيطان غرور ؛ لأنه يحمل على محاب النفس ووراء ذلك ما يسوء ^(١) .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

إنها متاع ، ولكنه ليس متاع الحقيقة ، ولا متاع الصحو واليقظة .

إنها متاع الغرور

المتاع الذى يخدع الإنسان فيحسبه متاعاً ، أو المتاع الذى ينشئ الغرور

والخداع

فأما المتاع الحق :

المتاع الذى يستحق الجهد فى تحصيله ... فهو ذاك ، هو الفوز بالجنة ،

بعد الزحزحة عن النار ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ (٢٦) ﴿ [الرعد : ٢٦] .

وفى هذه الآية الكريمة : « يذكر تعالى أنه هو الذى يوسع الرزق على من

يشاء ، ويقتر على من يشاء ، لما له فى ذلك من الحكمة والعدل » ^(٣) .

« فَبَسَّطَ الرِّزْقَ عَلَى الْكَافِرِ لَا يَدُلُّ عَلَى كَرَامَتِهِ ، والتقتير على بعض

المؤمنين لا يدل على إهانتهم ... » .

﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يعنى مشركى مكة ، فرحوا بالدنيا ولم

يعرفوا غيرها ، وجهلوا ما عند الله .

(١) « تفسير القرطبي » (٤ / ٣٠٢) .

(٢) « فى ظلال القرآن » سيد قطب (١ / ٥٣٩ » دار الشروق .

(٣) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٤٤٢) .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ ﴾ أى فى جنبها .

﴿ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ أى متاع من الأمتعة ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (٣٩) [غافر : ٣٨ ، ٣٩] .

يقول المؤمن لقومه من تمرد وطفى ، وأثر الحياة الدنيا ، ونسى الجبار الأعلى ، فقال لهم : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ لا كما كذب فرعون فى قوله : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٢٩) [غافر : ٢٩] .

ثم زهدهم فى الدنيا التى قد آثروها على الأخرى وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ أى : قليلة زائلة فانية ، عن قريب تذهب وتضمحل .

﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ أى : الدار التى لا زوال لها ، ولا انتقال منها ، ولا ظعن عنها إلى غيرها ، إما نعيم ... وإما جحيم ^(٢) .

٢ - أنها : لعب ولهو وزينة وتفاخر :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣٢) [الأنعام : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٤) [العنكبوت : ٦٤] .

(١) تفسير القرطبي « (٩ / ٣١٤) باختصار .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٧٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ (٣٦) [محمد : ٣٦] .

أى : شئ يلهى به ويلعب ، أى : ليس ما أعطاه الله الأغنياء من الدنيا إلا وهو يضمحل ويزول : كاللعب الذى لا حقيقة له ولا ثبات .

قال بعضهم : « الدنيا إن بقيت لك ، لم تبقى لها » (١) .

« وقيل : المعنى : متاع الحياة الدنيا لعب ولهو ، أى : الذى يشتهونه فى الدنيا لا عاقبة له ، فهو بمنزلة اللعب واللهو ... وقيل : معنى « لعب ولهو : باطل وغرور » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢٠) [الحديد : ٢٠] .

« قيل : اللعب : ما رغب فى الدنيا ، واللهو : ما ألهى عن الآخرة ، أى : شغل عنها ، وقيل : اللعب : الاقتناء ، واللهو : النساء .
﴿ وَزِينَةٌ ﴾ .

الزينة : ما يتزين به ، فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة ، وكذلك من تزين فى غير طاعة الله .

(١) « تفسير القرطبي » (١٣ / ٦٣٢) .

(٢) « تفسير القرطبي » (٦ / ٤١٤) .

﴿ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ ﴾ .

أى : يفخر بعضكم على بعض بها .

وقيل : بالخلقة والقوة .

وقيل : بالأنساب على عادة العرب فى المفاخرة بالآباء .

﴿ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ .

لأن عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأبناء والأموال .

وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعة .

قال بعض المتأخرين :

﴿ لَعِبٌ ﴾ كلعب الصبيان .

﴿ وَلَهْوٌ ﴾ كلهو الفتیان .

﴿ وَزِينَةٌ ﴾ كزينة النسوان .

﴿ وَتَفَاخُرٌ ﴾ كتفاخر الأقران .

﴿ وَتَكَاثُرٌ ﴾ كتكاثر الدهقان ^(١) .

وقيل : المعنى : أن الدنيا كهذه الأشياء فى الزوال والفناء ^(٢) .

« ثم ضرب تعالى مثال الحياة الدنيا فى أنها زهرة فانية ، ونعمة زائلة ،

فقال : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ .

وهو المطر الذى يأتى بعد قنوط الناس ، كما قال تعالى :

(١) أى التاجر : فارسى معرب .

(٢) « تفسير القرطبى » (١٧ / ٢٥٥) باختصار يسير .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ [الشورى : ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ﴾ .

أى يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذى نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ، كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ؛ فإنهم أحرص شئ عليها وأميل الناس إليها .

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ .

أى : يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعدما كان خضراً نضراً ، ثم يكون بعد ذلك حطاماً ، أى يصير ييساً متحطماً ، هكذا الحياة الدنيا : تكون أولاً شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزاً شوهاء ، والإنسان يكون ذلك فى أول عمره وعنقوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف ، بهى المنظر ، ثم إنه يشرع فى الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى ، قليل الحركة يعجزه الشئ اليسير ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) ﴾ [الروم : ٥٤] .

ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير ، فقال : ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

أى : وليس فى الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

أى : هى متاع فان ، غار لمن ركن إليه ، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أن لا دار سواها ولا معاد وراءها ، وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة (١) .

تنبيه :

ينبغى أن يعلم أنه : « ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة ، فإن حقيقة اللعب ما لا يُتَنَفَّع به ، واللهو ما يتلهى به ، وما كان مراداً للآخرة خارج عنهما ، وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال علي : الدنيا دار صدق لمن صدَّقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها .

وقال محمود الوراق :

لا تتبع الدنيا وأيامها ذاماً وإما دارت بك الدائرة
من شرف الدنيا ومن فضلها أن بها تستدرك الآخرة (٢)

وعن عطاء بن رباح قال : رأيت جابر بن عبد الله ، وجابر بن عمير الأنصاريين يرتميان فمل أحدهما فجلس ، فقال له الآخر : كسلت ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب ، إلا أن يكون أربعة : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشى الرجل بين الغرضين ، وتعليم الرجل السباحة » (٣) .

(١) « تفسير ابن كثير » (٢٧٤/٤) .

(٢) « تفسير القرطبي » (٦ / ٤١٤ ، ٤١٥) .

(٣) حديث صحيح : أخرجه النسائي ، وانظر « صحيح الجامع الصغير » للألباني ، حديث (٤٤١٠) ، و « السلسلة الصحيحة للألباني » ، حديث (٣١٥) .

وقال أحمد بن أبي الحواري :

« قلت لأبي صفوان الرعيني : أى شيء الدنيا التى ذمها الله فى القرآن ينبغى للعامل أن يجتنبها ؟ قال : كل ما عملت فى الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم ... وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها . فحدثت بها مروان ، فقال : الفقه على ما قال أبو صفوان » ^(١) .

٣ - أنها كماء أنزله الله تعالى من السماء :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف : ٤٥] .

« ومعنى الآية : التشبيه والتمثيل ، أى : صفة الحياة الدنيا فى فنائها وزوالها ، وقلة خطرهما والملاذ بها : كماء ، أى : مثل ماء » ^(٢) .

« شبه سبحانه الحياة الدنيا فى أنها تتزين فى عين الناظر ، فتروقه بزينتها وتعجبه ، فيميل إليها ويهوها ، إغتراراً منه بها .

(١) « كتاب الزهد الكبير » ، البيهقي / تحقيق الشيخ / عامر أحمد حيدر (١٨٧) مؤسسة الكتب الثقافية .

(٢) تفسير القرطبي « (٣٢٧/٨) .

حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها ، سلبها بغتة أحوج ما كان إليها ،
وحيل بينه وبينها .

فشبها بالأرض التي ينزل الغيث عليها ، فتعشب ويحسن نباتها ، ويروق
منظرها للنظر ، فيغتر بها ، ويظن أنه قادر عليها ، مالك لها ، فيأتيها أمر الله
فتدرك نباتها الآفة بغتة ، فتصبح كأن لم تكن قبل شيئاً ، فيخيب ظنه ، وتصبح
يداه منها صفراً .

فهكذا حال الدنيا والواقع بها سواء . وهذا من أبلغ التشبيه والقياس .
ولما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات ، وجنة الآخرة سليمة منها ، قال :
﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ .

فسمّاها هاهنا دار السلام ؛ لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في
الدنيا ، فعم بالدعوة إليها ، وخص بالهداية لها من يشاء ، فذاك عدله ... وهذا
فضله ^(١) .

فائدة :

« قالت الحكماء : إنما شبه تعالى الدنيا بالماء :
لأن الماء : لا يستقر في موضع ، كذلك الدنيا لا تبقى .
لأن الماء : لا يستقيم على حالة واحدة ، كذلك الدنيا .
ولأن الماء : لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى .
ولأن الماء : لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل ، كذلك الدنيا لا يسلم أحد

(١) التفسير القيم للإمام ابن القيم « ، جمع محمد أويس الندوى ، تحقيق / محمد حامد الفقى
(٣٠٥) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

دخلها من فتنها وآفاتها .

ولأن الماء : إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً ، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً ، وكذلك الدنيا ، الكفاف منها ينفع ، وفضولها يضر ^(١) .

(١) « تفسير القرطبي » (١٠ / ٤١٢)

٣ - وصف الدنيا ومثلها في السنة المشرفة

ومن أوصاف وأمثال الدنيا التي في سنة النبي ﷺ :

١ - هوانها على الله عز وجل :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق ، داخلاً من بعض العالية ، والناس كَنَفَتْهُ ^(١) فمر بجدي أسك ^(٢) ميت فتناولوه فأخذ بأذنه ، ثم قال : « أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ » .

فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ .

قال : « أتحبون أنه لكم ؟ » ؟ .

قالوا : « والله لو كان حياً ، كان عيباً فيه ، لأنه أسك ، فكيف وهو ميت ؟ » .

فقال : « فوالله للدنيا أهون على الله ، من هذا عليكم » ^(٣) .

الحديث فيه تشبيه وتمثيل النبي ﷺ للدنيا بهذا الجدي الأسك الميت ، والذي عافت الصحابة عن أخذه وإن كان حياً .

وأقسم ﷺ بالله ليؤكد لهم ما يقول ، وهو هوان الدنيا على الله عز وجل وحقارتها عنده ، من هوان هذه الميتة على البشر .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كانت الدنيا

(١) كنفته : أى جانبه .

(٢) أسك : أى صغير الأذنين .

(٣) حديث صحيح : أخرجه مسلم في كتاب « الزهد والرقائق » حديث (٢) .

تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» (١) .
وهذا «مثل لغاية القلة والحقارة... أى : لو كان لها أدنى قدر ما متّع الكافر منها أدنى تمتع . وهذا أوضح دليل وأعدل شاهد على حقارة الدنيا .
قال بعض العارفين : أدنى علامات الفقر : لو كانت الدنيا بأسرها لواحد فأنفقها فى يوم واحد ، ثم خطر له أن يمسك منها مثقال حبة من خردل ، لم يصدق فى فقره .

وقيل لحكيم : أى خلق الله أصغر ؟ .
قال : الدنيا ، إن كانت لا تعدل عند الله جناح بعوضة .
فقال السائل : من عظم هذا الجناح فهو أحقر منه (٢) .
٢ - أن الله تعالى جعلها قليلاً :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلاً ، وما بقى منها إلا القليل ، كالثَّغْبِ شُرْبِ صفوه ، وبقي كدره » (٣) .
« يعنى أنه مثل الدنيا كممثل حوض كبير ملىء ماء وجعل مورداً للأنام والأنعام . فجعل الحوض ينقص على كثرة الوارد حتى لم يبق منه إلا وشل كدر فى أسفله . بالت فيه الدواب وخاضت فيه الأنعام .
فالعاقِل لا يطمئن إلى الدنيا ولا يغتر بها بعد ما اتضح له أنها زائلة

(١) حديث صحيح : أخرجه الترمذى ، وانظر « صحيح الجامع » (٥١٦٨) و « السلسلة الصحيحة » (٩٤٣) .

(٢) « فيض القدير شرح الجامع الصغير » للعلامة المناوى (٣٢٨/٥) دار المعرفة / بيروت .

(٣) حديث حسن : أخرجه الحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (١٧٣٣) و « السلسلة الصحيحة » (١٦٢٥) .

مستحيلة ، وأنه قد مضى أحسنها ، وأنها وإن ساعدت مدة فالموت لا محالة يدرك صاحبها ويخرمه » (١) .

وعن المستورد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والله ما الدنيا في الآخرة : إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبغه هذه في اليم ، فلينظر بما ترجع » (٢) .

» ومعنى الحديث : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها ، وفناء لذاتها ، ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها ، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقى البحر » (٣) .

٣ - أن ما يأكله الناس جعل مثل لها :

عن الضحاك بن سفيان رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى جعل ما يخرج من بنى آدم مثلاً للدنيا » (٤) .

وعن أبي رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلاً للدنيا ، وإن قرحه وملحه ، فانظر إلى ما يصير » (٥) .

وقا الزمخشري : معناه أن المطعم وإن تكلف الإنسان التفوق في صنعته وتطبيبه وتحسينه فإنه لا محالة عائد إلى حال يستقذر ، فكذا الدنيا المحروص على عمارتها ونظم أسبابها راجعة إلى خراب وإدبار .

(١) « فيض القدير » (٢٢١/٢) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم في كتاب « الجنة وصفة نعيمها وأهلها » باب فناء الدنيا .

(٣) « صحيح مسلم : بشرح النووي » (١٩٢/١٧ ، ١٩٣) مكتبة الرياض الحديثة .

(٤) حديث حسن : أخرجه أحمد ، والطبراني ، والبيهقي ، وانظر « صحيح الجامع » (١٧٣٥) و« السلسلة الصحيحة » (٣٨٢) .

(٥) حديث حسن أخرجه ابن حبان ، والطبراني ، وانظر « صحيح الجامع » (٢١٩١) .

وقال الديلمي : هذا كناية عن البول والغائط ، يعنى ما يخرج منه كان قبل ذلك ألواناً من أطعمة طيبة ، وشراباً سائغاً فصارت عاقبته ما ترون .
فالدنيا خضرة حلوة ، والنفس تميل إليها ، والجاهل بعاقبتها ينافس فى زينتها ، ظاناً أنها تبقى أو هو يبقى .

فشهوات الدنيا فى القلب كشهوات الأطعمة فى المعدة ، وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والتتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت إلى المعدة غايتها .

وكما أن فى الأطعمة كلما كانت ألد طعماً وأكثر دسماً وحلاوة كان رجيحها أقدر ، فكذا كل شهوة فى النفس ألد وأقوى فالتأذى بها عند الموت أشد ، كما أن تفجع الإنسان بمحبوبه إذا فقدته ، يقوى بفقد محبة المحبوب .

وقد كان بعض الصوفية يقول لصحبه : انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيذهب إلى المزابل ، فيقول : انظروا إلى ثماركم ودجاجكم وسكركم ^(١) .

٤ - أنها متاع :

عن ابن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ^(٢) .

هى مع دناءتها إلى فناء ، وإنما خلق ما فيها لأن يستمتع به مع حقارتها أمدأ قليلاً ثم ينقضى .

والمُتاع ما ليس له بقاء ^(٣) .

(١) « فيض القدير » (٢٢١/٢) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب « الرضاع » باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة » .

(٣) « فيض القدير » (٥٤٨/٣) .

ه - أنها حلوة خضرة :

عن ابن عمرو رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا حلوة خضرة ، فمن أخذها بحقه بورك له فيها ، ورب متخوض فيما اشتهدت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار » ^(١) .

يريد أن للدنيا ظاهراً وباطناً ، فظاهرها : ما يعرفه الجاهل من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها ، وإليه أشار قوله سبحانه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الروم : ٧] .

وحقيقتها : أنها مجاز إلى الآخرة ، يتزود منها إليها بالطاعة والعمل الصالح ^(٢) .

وعن أبي مالك الأشعرى رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « حلوة الدنيا مرة الآخرة ، ومرة الدنيا حلوة الآخرة » ^(٣) .

« يعنى لا تجتمع الرغبة فيها والرغبة فى الله والآخرة بها ، ولا يسكن هاتان الرغبةتان فى محل واحد إلا طردت إحداهما الأخرى ، واستبدت بالمسكن ، فإن النفس واحدة والقلب واحد ، فإذا اشتغلت بشئ انقطع عن ضده .

قال الإمام الرازى : الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن ، والله يمكن المكلف من تحصيل أيهما شاء ، فإذا أشغله بتحصيل

(١) حديث صحيح : أخرجه الطبرانى فى « الكبير » وانظر « صحيح الجامع » (٣٤٠٤) .

(٢) « فيض القدير » (٣ / ٥٤٥) .

(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد فى « المسند » والطبرانى فى « الكبير » والحاكم فى « المستدرک » والبيهقى فى « الشعب » وانظر « صحيح الجامع » ٣١٥٠ .

أحدهما فقط فقد فوت الأجر على نفسه » (١) .

٦ - أنها سجن المؤمن ، وجنة الكافر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » (٢) .

« ومعناه : أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة ، مكلف بفعل الطاعات الشاقة ، فإذا مات استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان .
وأما الكافر : فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا من قتلته وتكديره بالمنغصات ، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد » (٣) .

٧ - أنها ملعونة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، وعالماً أو متعلماً » (٤) .

« يمكن أن يكون المراد بلعنها : ملاذ شهواتها وجمع خطاياها ، وما زين من حب النساء والبنين وقناطير الذهب والفضة وحب البقاء بها . فيكون قوله : « ملعونة » : متروكة مبعدة ، متروك ما فيها .
واللعن : الترك .

(١) فيض القدير (٣ / ٣٩٦ ، ٣٩٧) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم في كتاب « الزهد والرقائق » حديث (١) .

(٣) « صحيح مسلم : بشرح النووي » (١٨ / ٩٣) .

(٤) حديث حسن : أخرجه الترمذی ، وابن ماجه ، وانظر « صحيح الجامع » (١٦٠٥) .

« إلا ذكر الله وما والاها » : يعنى ملعون ما فى الدنيا إلا ذكر الله ، وما
أحبه الله مما يجرى فى الدنيا ، وما سواه ملعون .
« وعالماً أو متعلماً » : أى هى وما فيها مبعدة عن الله تعالى إلا العلم النافع
الدال على الله ؛ فهذا هو المقصود منها ^(١) .
« قال أبو العباس القرطبى : لا يفهم من هذا الحديث إباحة لعن الدنيا
وسبها مطلقاً » ^(٢) .

(١) « فيض القدير » (٣ / ٥٤٩) باختصار .

(٢) « فيض القدير » (٢ / ٣٢٦) حاشية ٣ .

٤ - وصف الدنيا ومثلها في أقوال السلف

ولسادات السلف وأئمتهم أقوال وعبارات في وصف الدنيا ومثلها .

وأقوال السلف وعباراتهم كشفت عن علمهم بالدنيا وزهدهم فيها .

قال أبو سليمان الداراني :

« من عرف الدنيا عرف الآخرة ، ومن لم يعرف الدنيا لم يعرف الآخرة » ^(١) .

ومن أقوالهم وعباراتهم في وصف الدنيا ومثلها :

* قال الجاحظ يعظ أصحابه :

« إن الدنيا دار عمل ، من صحبها بالنقص لها والزهادة فيها : سعد بها ونفعته صحبتها ، ومن صحبها على الرغبة فيها والحبّة لها : شقى بها وأجحف بحظه من الله عز وجل ، ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به من عذاب الله ، فأمرها صغير ... ومتاعها قليل ... والفناء عليها مكتوب ... والله تعالى ولي ميراثها ... وأهلها محولون عنها إلى منازل لا تبلى ولا يغيرها طول الثواء ... منها يخرجون » ^(٢) .

* وقال مالك بن دينار :

« اتقوا السحارة ؛ فإنها تسحر قلوب العلماء ، يعنى الدنيا » ^(٣) .

(١) « حلية الأولياء » (٩ / ٢٦٢) .

(٢) « حلية الأولياء » (٢ / ١٤٠) .

(٣) « حلية الأولياء » (٢ / ٣٦٤) .

* وقال فرقد السبخي :

« اتخذوا الدنيا ظمراً والآخرة أمماً ، أما ترى الصبي يلقى على الظئر فإذا ترعرع وعرف والدته ، ترك الظئر وألقى نفسه على والدته فإن الآخرة أمكم يوشك أن تجتركم » (١) .

شبه الدنيا بالظئر ، التي هي مرضعة غير ولدها ، فكما أن الظئر ليست أمه الحقيقية ، فالدنيا ليست أمه .

* وقال شميظ بن عجلان :

« إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المنقطعين إليه » (٢) .

* وقال وهب بن منبه :

« مثل الدنيا والآخرة مثل ضربتين ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى » (٣) .

* وقال ميمون بن مهران :

« الدنيا حلوة خضرة ، قد حفت بالشهوات ، والشيطان عدو حاضر فطن ، وأمر الآخرة آجل ، وأمر الدنيا عاجل » (٤) .

* وقال أبو عبد الله الصنابحي :

« الدنيا تدعو إلى فتنة ، والشيطان يدعو إلى خطيئة ، ولقاء الله خير من الإقامة معهما » (٥) .

(١) « الحلية » (٣ / ٤٥) .

(٢) « الحلية » (٣ / ١٣٠) .

(٣) « الحلية » (٤ / ٥١) .

(٤) « الحلية » (٤ / ٩٠) .

(٥) « الحلية » (٥ / ١٢٩) .

* رأى مريح بن مسروق الهوزنى يوماً يرقع شقوقاً فى بيته بزيل البقرة ،
فقليل له فى ذلك ، فقال : إنما الدنيا مزيلة نرقعها بالزبل « ^(١) .

* وقال يزيد بن ميسرة :

« كان أسيافنا يسمون الدنيا : الدنية ، ولو وجدوا لها اسماً شراً منه
لسموها ، كانوا إذا أقبلت إلى أحدهم دنيا قالوا : إليك عنا ياخنزيرة ، لا حاجة
لنا بك ، إنا نعرف إلها » ^(٢) .

* وقال سفيان الثورى :

« إنما مثل الدنيا مثل رغيف عليه عسل ، مر به ذباب فقطع جناحيه ،
وإذا مر برغيف يابس مر به سليماً » ^(٣) .

* وقال أيضاً :

« إنما سُميت الدنيا لأنها دنية ، وسمى المال لأنه يميل بأهله » ^(٤) .

* وقال محمد بن السماك :

« كتب إلى رجل من إخوانى من أهل بغداد : صف لى الدنيا ،
فكتبت إليه : أما بعد ، فإنه حَفها بالشهوات ، ومَلأها بآفات ، مزج
حلالها بالمؤونات ، وخرامها بالتبعات ، حلالها حساب ، وخرامها عذاب .
والسلام » ^(٥) .

(١) « الحلية » (٥ / ١٥٥) .

(٢) « الحلية » (٥ / ٢٣٥) .

(٣) « الحلية » (٧ / ٥٥) .

(٤) « الحلية » (٧ / ١٠) .

(٥) « الحلية » (٨ / ٢٠٤) .

* وقال محمد بن يوسف :

« الدنيا غنيمة الله أو الهلكة ، والآخرة عفو الله أو النار » ^(١) .

* وقال يوسف بن أسباط :

« الدنيا دار نعيم الظالمين ، قال : وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : الدنيا جيفة ، فمن أَرادها فليصبر على مخالطة الكلاب » ^(٢) .

* قال القرقساني :

« أتى يوسف بن أسباط بياكورة ثمرة فغسلها ثم وضعها بين يديه وقال : إن الدنيا لم تخلق لينظر إليها ، وإنما خلقت لينظر بها إلى الآخرة » ^(٣) .

* وقال أبو بكر بن عياش :

« رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوهة » ^(٤) .

* وقال حاتم الأصم :

« مثل الدنيا كمثل ظلك ، إن طلبته تباعد ، وإن تركته تتابع » ^(٥) .

* وقال يحيى بن معاذ :

« الدنيا أمير من طلبها ، وخادم من تركها .

الدنيا طالبة ومطلوبة ، فمن طلبها رفضته ، ومن رفضها طلبته .

(١) « الحلية » (٨ / ٢٣١) .

(٢) « الحلية » (٨ / ٢٣٨) .

(٣) « الحلية » (٨ / ٢٤٠) .

(٤) « الحلية » (٨ / ٣٠٤) .

(٥) « الحلية » (١٠ / ٤٩) .

الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها ، ليس من العقل بنيان القصور
على الجسور .

الدنيا عروس وطالبها ماشطتها ، وبالزهد ينتف شعرها ويسود وجهها
ويمزق ثيابها .

ومن طلق الدنيا فالآخرة زوجته ، فالدنيا مطلقة الأكياس ، لا تنقضي
عدتها أبداً ، فخل الدنيا ولا تذكرها ، واذكر الآخرة ولا تنسها ، وخذ من الدنيا
ما يبلغك الآخرة ، ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة » ^(١) .

*** وقال يحيى بن معاذ :**

« الدنيا بحر التلف ، والنجاة منها إلزهد فيها » ^(٢) .

*** قال يزيد بن ميسرة :**

« كان أشياخنا يسمون الدنيا خنزيرة ، ولو وجدوا لها أسماً شراً منها
لسموها به » ^(٣) .

*** قال أبو عبد الرحمن السلمى :**

حكاية عن الشبلى ، أنه قيل له : ما الدنيا ؟ فقال :
« قدر تغلى ، وكنيف يملى » ^(٤) .

(١) « الحلية » (١٠ / ٥٣ ، ٥٤) .

(٢) « الحلية » (١٠ / ٥٦) .

(٣) « كتاب الزهد الكبير » (١٣٩) .

(٤) « الزهد الكبير » (١٤٣) .

* وقال الشبلى :

« الدنيا خيال ، وطلبها وبال ، وتركها جمال ، والإعراض عنها كمال ،
والمعرفة بالله اتصال »^(١) .

* سئل الجنيّد عن الدنيا ماهى ؟ فقال :

« الدنيا على وجوه : فهى عند قوم : هذا الفتح الذى تراه بين السماء
والأرض ، وقوم : يجعلون الدنيا المتاع الذى فيها من الاتساع والغناء »^(٢) .

* وقال أبو سعيد الأعرابى :

« سمعت أباغسان القسملى يقول : الدنيا هى النفس ، قال أبو سعيد :
وكأنه يقول : الزهد فى الدنيا الزهد فى النفس ، ومعناه فى شهواتها ومحبوبها
كله إذا كان يشغل عن الله عز وجل وراحاتها »^(٣) .

* وقال محمد بن الفضل البلخى :

« الدنيا بطنك ، فبقدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا »^(٤) .

* قال جرير بن يزيد :

« قلت لمحمد بن عليّ بن حسين : عظمى ، قال : يا جرير اجعل الدنيا
مالاً أصبته فى منامك ، ثم انتبهت وليس معك منه شيء »^(٥) .

(١) « الزهد الكبير » (١٤٤) .

(٢) « الزهد الكبير » (١٥١) .

(٣) « الزهد الكبير » (١٧٤) .

(٤) « الزهد الكبير » (١٧٥) .

(٥) « الزهد الكبير » (١٤١) .

* وقال الحسن :

« الدنيا ثلاثة أيام : أما أمس فقد ذهب بما فيه ، وأما غداً فلعلك أن لا تدركه ، فاليوم لك ، فاعمل فيه » ^(١) .

* وقال أحمد بن حنبل :

« الدنيا دار عمل ... والآخرة دار جزاء ... فمن لم يعمل هنا ندم هناك » ^(٢) .

* وقال عمر بن محمد المكي :

« خطب عمر بن عبد العزيز فقال : « إن الدنيا ليست بدار قراركم ... دار كتب الله عليها الفناء ... وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل مخرب ، كم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، وإنما الدنيا كفى ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها وبها قرير العين إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعة ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً وتجر حزناً طويلاً » ^(٣) .

(١) « الزهد الكبير » (١٩٦) .

(٢) « الزهد الكبير » (٢٨٢) .

(٣) « الحلية » (٥ / ٢٩٢) .

٥ - متاع الدنيا وزينتها

* قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص : ٦٠] .

* وقال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى : ٣٦] .

« إن في هذه الأرض متاعاً جذاباً براقاً ، وهناك أرزاق وأولاد وشهوات ولذائذ وجاه وسلطان ، وهناك نعم آتاهها الله لعباده في الأرض تلطفاً منه وهبة خالصة ، لا يعلقها بمعصية ولا طاعة في هذه الحياة الدنيا ، وإن كان يبارك للطائع - ولو في القليل - ويمحق البركة من العاصي ولو كان في يده الكثير .

ولكن هذا كله ليس قيمة ثابتة باقية ، إنما هو متاع ، متاع محدود الأجل لا يرفع ولا يخفض ولا يعد بذاته دليل كرامة عند الله أو مهانة ، ولا يعتبر بذاته علامة رضى من الله أو غضب ، إنما هو متاع .

﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ .

خير في ذاته ، وأبقى في مدته ، فمتاع الحياة الدنيا زهيد حين يُقاس إلى ما عند الله ، ومحدود حين يُقاس إلى الفيض المنساب ، ومتاع الحياة الدنيا معدود الأيام ، أقصى أمده للفرد عمر الفرد ، وأقصى أمده للبشرية عمر هذه البشرية ، وهو بالقياس إلى أيام الله ومضة عين أو تكاد ^(١) .

(١) « في ظلال القرآن » (٥ / ٣١٦١) .

وفصّل الله تبارك وتعالى للناس متاع الحياة الدنيا وزينتها .

* قال الله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران : ١٤] .

* وقال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) ﴾ [الكهف : ٤٦] .

« يخبر تعالى عما زين للناس فى هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ » (١) .

* ﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .

« بدأ بهن لكثرة تشوّف النفوس إليهن ؛ لأنهن حبايل الشيطان وفتنة الرجال ، قال رسول الله ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء » (٢) .

ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء ويقال : فى النساء فتنتان ، وفى الأولاد فتنة واحدة ، فأما اللتان فى النساء :

فإحداهما : أن تؤدى إلى قطع الرحم : لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات .

والثانية : يتلى بجمع المال من الحلال والحرام .

وأما البنون ، فإن الفتنة فيهم واحدة ، وهو : ما ابتلى بجمع المال لأجلهم » (٣) .

(١) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٣) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى ومسلم .

(٣) « تفسير القرطبي » (٤ / ٢٩) .

* ﴿ وَالْبَنِينَ ﴾ .

« وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة ، فهو داخل في هذا ، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده لا شريك له ، فهذا محمود ، كما ثبت في الحديث ^(١) . « تزوجوا الودود الولود ، فإنني مكاثركم » ^(٢) .

* ﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ .

« القناطر : جمع قنطار ...

وهو العقدة الكبيرة من المال » ^(٣) .

« وحب المال : تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء ، فهذا مذموم ، وتارة يكون للنفقة في القربات ، وصلة الأرحام والقربات ، ووجوه البر والطاعات ، فهذا ممدوح محمود شرعاً » ^(٤) .

* ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ .

« يعنى الراعية فى المروج والمسارح » ^(٥) .

* ﴿ وَالْأَنْعَامِ ﴾ .

« يعنى الإبل ، والبقر والغنم »

(١) حديث صحيح : أخرجه أبو داود ، والنسائي عن معقل بن يسار ، وانظر « صحيح الجامع » (٢٩٣٧) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٣٠٣ / ١) .

(٣) « تفسير ابن كثير » (٣٠ / ٤) .

(٤) « تفسير ابن كثير » (٣٠٣ / ١) .

(٥) « تفسير ابن كثير » (٣٣ / ٤) ..

* ﴿ وَالْحَرْثِ ﴾ .

يعنى : الأرض المتخذة للغراس والزراعة » (١) .

« قال العلماء : ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال ، كل نوع من المال يتموّل به صنف من الناس .

أما الذهب والفضة : فيتموّل بها التجار .

وأما الخيل المسومة : فيتموّل بها الملوك .

وأما الأنعام : فيتموّل بها أهل البوادي .

وأما الحرث : فيتموّل بها أهل الرساتيق (٢) . فتكون فتنة كل صنف فى النوع الذى يتمول .

فأما النساء والبنون : ففتنة للجميع » (٣) .

* وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

« أى ما يتمتع به فيها ثم يذهب ولا يبقى ، وهذا منه تزهد فى الدنيا وترغيب فى الآخرة .

* ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ .

ومعنى الآية : تقليل الدنيا وتحقيرها ، والترغيب فى حسن المرجع إلى الله تعالى فى الآخرة » (٤) .

(١) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٤) .

(٢) الرساتيق : واحداها رستاق ، وهى السواد والقرى .

(٣) « تفسير القرطبي » (٤ / ٣٦) .

(٤) « تفسير القرطبي » (٤ / ٣٦ ، ٣٧) .

* وقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٤٦] .
 « وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، لأنه في المال جمالاً ونفعاً ،
 وفي البنين قوة ودفعاً فصار زينة الحياة الدنيا ، لكن معه قرينة الصفة للمال
 والبنين ؛ لأن المعنى : المال والبنون زينة هذه الحياة المحترقة فلا تتبعوها
 نفوسكم » (١) .

* خير متاع الدنيا :

عن ابن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :
 « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا ، المرأة الصالحة » (٢) .

الحديث : « فيه إيماء إلى أنها - أى المرأة الصالحة - أطيب الحلال في
 الدنيا ، أى لأنه سبحانه زين الدنيا بسبعة أشياء ذكرها بقوله : ﴿ زِينٌ لِلنَّاسِ ﴾ ،
 وتلك السبعة هى ملاذها وغاية آمال طلابها ، وأعمها زينة وأعظمها شهوة :
 النساء ؛ لأنها تحفظ زوجها عن الحرام ، وتعينه على القيام بالأمر الديني
 والدينية ، وكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهى محبوبة مرضية لله ،
 فصاحبها يلتذ بها من جهة تنعمه وقره عينه بها ، ومن جهة إيصالها له إلى
 مرضاة ربه ، وإيصاله إلى لذة أكمل منها .

قال الطيبى : وقيد بالصالحة إيذاناً بأنها شر المتاع لو لم تكن صالحة .
 وقال الأكمل : المراد بالصالحة : التقية المصلحة لحال زوجها فى بيته ،
 المطيعة لأمره (٣) .

(١) تفسير القرطبي « (١٠ / ٤١٣ ، ٤١٤) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم فى كتاب « الرضاع » باب « متاع الدنيا » .

(٣) « فيض القدير » (٣ / ٥٤٨ ، ٥٤٩) .

* ما يُعين على أمر الدنيا والآخرة :

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « قلب شاكر ولسان ذاكِر وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك : خير ما اكتنز الناس » ^(١) .

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ليتخذ أحدكم : قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة ، تعينه على أمر الآخرة » ^(٢) .

« فإن هذه الثلاثة جامعة لجميع المطالب الدنيوية والأخروية وتعين عليها وإنما كان كذلك :

لأن الشكر : يستوجب المزيد .

والذكر : منشور الولاية .

والزوجة الصالحة : تحفظ على الإنسان دينه ودنياه وتعينه عليهما » ^(٣) .

وعن سليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ليكف الرجل منكم كزاد الراكب » ^(٤) .

« يعنى : ليكفك من الدنيا ما يبلغك إلى الآخرة ، فالمؤمن يتزود منها ، والفاجر يستمتع فيها ، والأصل أن من امتلأ قلبه بالإيمان استغنى عن كثير من مؤن دنياه ، واحتمل المشاق فى تكثير مؤمن أخراه .

وفيه تنبيه على أن الإنسان مسافر لا قرار له ، فيحمل ما يبلغه المنزل بين

(١) حديث صحيح : أخرجه البيهقى فى « الشعب » وانظر « صحيح الجامع » (٤٢٨٥) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه ، وانظر « صحيح الجامع » (٥٢٣١) .

(٣) « فيض القدير » (٤ / ٥٢٥) .

(٤) حديث صحيح : أخرجه ابن ماجه ، وابن حبان ، وانظر « صحيح الجامع » (٥٣٤١) .

يديه مرحلة مرحلة ، ويقتصر عليه .

كان بعض العارفين إذا انقضى فصل الشتاء أو الصيف يتصرف في الثياب الذي يلبسها في ذلك الفصل ولا يدخرها إلى الفصل الآخر ^(١) .

*** وكان بعض السلف يقول :**

« كل الدنيا فضول إلا خمس خصال : خبز يُشبعه ، وماء يرويه ، وثوب يستره ، وبيت يُكنّه ، وعلم يستعمله » ^(٢) .

*** وقال سفيان بن عيينة :**

« ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لا بد منه » ^(٣) .

*** موعظة :**

« قال جابر بن عبد الله الأنصاري : خرجت مع عليّ كرم الله وجهه إلى خارج المدينة ، فتفكرت في أحوال الدنيا وغرورها وفتنها لنا ، فقال : يا جابر إن الدنيا أحقر من أن يفتتن بها لبيب ، يا جابر إن لذاتها في ستة أشياء :

مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومنكوح ، ومشموم ، ومسموع .

فأما المأكول : فألین ما يؤكل من العسل ، وهو رجع ذبابة .

وأما المشروب : فألذ ما يشرب الماء ، وقد تساوى فيه جميع الحيوانات .

وأما الملبوس : فأفخر ما يلبس الحرير ، ومخرجه من دودة .

(١) « فيض القدير » (٣٩٤ / ٥) باختصار يسير .

(٢) « الزهد الكبير » (١٤٢ ، ١٤٣) .

(٣) « الحلية » (٢٧٣ / ٧) .

وأما المنكوح : فمَبَّالٌ في مبالٍ .
وأما المشموم : فأطيهه المسك ، وهو دم دابة .
وأما المسموع : فالذ ما يُسمع الوتر ، وهو إثم كله ^(١) .

(١) « المواعظ والجمالس » لابن الجوزي ، تحقيق محمد إبراهيم سنبل (٤٤ ، ٤٥) ، دار الصحابة للتراث بطنطا .

٦ - علم الدنيا وعلم الآخرة

اعلم رحمك الله تعالى :

أن علم الدنيا « هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره ويستدل عليه بجنسه ونوعه ، كعلم الطب والهندسة » ^(١) .
« قال أبو إسحاق الحوافي : العلوم ثلاثة : علم دنياوى ، وأخروى ، وعلم لا للدنيا ولا للآخرة .

فالعلم الذى للدنيا : علم الطب والنجوم ، وما أشبه ذلك .

والعلم الذى للدنيا والآخرة : علم القرآن والسُّنن ، والفقه فيهما .

والعلم الذى ليس للدنيا ولا للآخرة : علم الشعر والشغل به » ^(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - :

« والعلم ما قام عليه الدليل »

والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ وقد يكون علم من غير الرسول لكن ، لكن فى أمور « دنيوية » مثل : الطب ، والحساب ، والفلاحة ، والتجارة » ^(٣) .

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يَغْضُ كل : جعظري حَوَاطِر ، سَخَاب فى الأسواق ، جيفة بالليل ، حمار بالنهار ، عالم

(١) « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (٢ / ٣٧) دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) « جامع بيان العلم وفضله » (٢ / ٤٠) .

(٣) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١٣ / ١٣٦) .

بالدنيا ، جاهل بالآخرة » ^(١) .

وعنه ، عن النبى ﷺ : « إن الله يفض كل عالم بالدنيا ، جاهل بالآخرة » ^(٢) .

الجعظرى : اللفظ الغليظ المتكبر .

الحواظ : الجموع المنوع .

السخاب : كالصخاب ، كثير الضجيج والخصام .

جيفة : أى كالجيفة ، لأنه يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه ، وينام طوال ليلة كالجيفة التى لا تتحرك ...

قال الشيخ الألبانى رحمه الله تعالى :

« قلت : وما أشد انطباق هذا الحديث على هؤلاء الكفار الذين لا يهتمون بآخرتهم ، مع علمهم بأمور دنياهم ، كما قال تعالى فيهم : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٧) ﴿ [الروم : ٧] .

ولبعض المسلمين نصيب كبير من هذا الوصف ، الذين يقضون نهارهم فى التجول فى الأسواق والصياح فيها ، ويضيعون عليهم الفرائض والصلوات ، ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿ ٥ ﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿ ٦ ﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (٧) ﴿ [الماعون : ٤ - ٧] ^(٣) .

(١) حديث صحيح : أخرجه البيهقى فى « السنن » وانظر « صحيح الجامع » (١٨٧٤) ، و« السلسلة الصحيحة » (١٩٥) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه الحاكم فى « تاريخه » وانظر « صحيح الجامع » (١٨٧٥) .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة « ٣٣٢/١ » .

قال الزرنوجي رحمه الله تعالى :

« وأما تعلم علم الطب فيجوز ؛ لأنه سبب من الأسباب ، فيجوز تعلمه كسائر الأسباب ، وقد تداوى النبي ﷺ .
وحكى عن الشافعي رحمه الله أنه قال :
« العلم علمان : علم الفقه للأديان ، وعلم الطب للأبدان ، وما وراء ذلك بلغة مجلس » ^(١) .

* ومما ينبغي أن يعلم :

أن هذا الذم في حق المسلمين ليس على إطلاقه ، بمعنى أنه إذا كان المسلم ممن يشتغل في علم من العلوم الدنيوية المعروفة كالطب والحساب والهندسة وهو غير ملتفت لآخرته ، فإن الذم يلحقه ، وإلا فلا .

* وينبغي أن يعلم أيضاً :

أن هذه الأحاديث لا تعارض ما رواه مسلم : عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون ، فقال : « لو لم تفعلوا لصلح » ، قال : فخرج شيصاً ، فمر بهم ، فقال : « ما لنخلكم ؟ » قالوا : قلت كذا وكذا ، قال : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » ^(٢) .

فإن المخاطبين بهذا الوصف « أنتم أعلم بأمر دنياكم » إنما هم أرادوا الله تعالى والدار الآخرة وعملوا لها ، وعلمهم بأمر دنياهم لم يكن لذاته ، وإنما لما يتحقق به المعاش في هذه الحياة الدنيا .

(١) « تعليم المتعلم في طريق التعلم » للزرنوجي / تحقيق صلاح محمد الخيمي ، ونذير حمدان (٣٣)

دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم في كتاب « الفضائل » ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً

٧ - أهل الدنيا وأهل الآخرة

اعلم رحمك الله تعالى :

إن أهل الدنيا : هم الذين تلبسوا بها ، واغترفوا بمتاعها وزينتها ، فنسبوا إليها ...

قال الله تعالى :

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

« كانت العرب فى الجاهلية تدعوا فى مصالح الدنيا فقط ، فكانوا يسألون الإبل ، والغنم والظفر بالعدو ، ولا يطلبون الآخرة ، إذ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها ، فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بأمر الدنيا ، وجاء النهى فى صيغة الخبر عنهم ، ويجوز أن يتناول هذا الوعيد المؤمن أيضاً إذا قصر دعواته فى الدنيا ، وعلى هذا فـ ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ أى كخلاق الذى يسأل الآخرة ، والخلاق : النصيب » ^(١) .

وأهل الآخرة : هم الذين آثروا الدار الآخرة على الحياة الدنيا .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

أى من الناس ، وهم المسلمون يطلبون خير الدنيا والآخرة .

(١) تفسير القرطبي (٢ / ٤٣٢) .

قال قتادة : حسنة الدنيا : العافية في الصحة ، وكفاف المال .
 وقال الحسن : حسنة الدنيا : العلم والعبادة ، وقيل غير هذا .
 والذي عليه أكثر أهل العلم ، أن المراد بالحسنتين : نعم الدنيا والآخرة .
 وهذا هو الصحيح ؛ فإن اللفظ يقتضى هذا كله ؛ فإن « حسنة » نكرة في
 سياق الدعاء ، فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البذل .
 وحسنة الآخرة : الجنة بإجماع .

وقيل : لم يرد حسنة واحدة ، بل أراد : أعطنا في الدنيا عطية حسنة .
 هذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة ، قيل لأنس : ادع
 الله لنا ، فقال : اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب
 النار ، قالوا : زدنا ، قال : ما تريدون ؟ قد سألت الدنيا والآخرة ^(١) .

* وقال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ
 الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥) ﴾
 [آل عمران : ١٤٥] ..

* وقال تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ
 سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) ﴾ [النساء : ١٣٤] .

(١) « تفسير القرطبي » (٢ / ٤٣٢ ، ٤٣٣) باختصار .

* وقال تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [١٥] هود .

« أى من عمل بما افترضه الله عليه طلباً للآخرة أتاه الله ذلك فى الآخرة ، ومن عمل طلباً للدنيا أتاه بما كتب له فى الدنيا وليس له فى الآخرة من ثواب ؛ لأنه عمل لغير الله ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ [هود : ١٦] .

وعلى هذا يكون المراد بالآية : المنافقون والكفار .

وروى أن المشركين كانوا لا يؤمنون بالقيامة ، وإنما يتقربون إلى الله تعالى ليوسع عليهم فى الدنيا ويرفع عنهم مكروهاً ، فأنزل الله عز وجل :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [النساء : ١٣٤] .

أى يسمع ما يقولونه ، ويبصر ما يسرونه ^(١) .

(١) « تفسير القرطبي » (٥ / ٤١٠) .

اليأس من الدنيا

[لأبي العتاهية (*)]

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ ، وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالِي ،
وَيَسَّسْتُ أَنْ أَبْقَى لَشَيْءٍ نَلْتُ مِمَّا فِيكَ ، يَا دُنْيَا ، وَأَنْ يَبْقَى لِي
فَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي ، وَأَرَحْتُ مِنْ حَلْيٍ وَمِنْ تَرْحَالِي .
وَلَعَنُ يَمَسْتُ ، لِرُبِّ بَرَقَةٍ خُلِبِ ، بَرَقْتُ لَذَى طَمَعٍ ، وَبَرَقَةِ آلِ
مَا كَانَ أَشْأَمَ ، إِذْ رَجَاؤُكَ قَاتِلِي ، وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَعْتَلِجْنَ بِبَالِي ،
فَالآنَ ، يَا دُنْيَا ، عَرَفْتُكَ فَادْهَبِي ، يَا دَارَ كُلِّ تَشَشَّتٍ وَزَوَالِ
وَالآنَ صَارَ لِي الزَّمَانُ مُؤَدِّبًا ، فَغَدَاً عَلَيَّ وَرَاحَ بِالْأُمَثَالِ ،
وَالآنَ أَبْصَرْتُ السَّبِيلَ إِلَى الْهُدَى ، وَتَفَرَّغْتَ هَمَّتِي عَنْ الْأَشْغَالِ ،
وَلَقَدْ أَقَامَ لِي الْمَشِيبُ نِعَاتَهُ ، يُفْضِي إِلَيَّ بِمَفْرِقٍ وَقَدَالِ (١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ يُبْرِقُ سَيْفَهُ ، بِيَدِ الْمَنِيَةِ : حَيْثُ كُنْتُ ، حَيَالِي
وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُرَى الْحَيَاةِ تَخْرُمْتُ ، وَلَقَدْ تَصَدَّى الْوَارِثُونَ لِمَالِي (٢)

(*) أبو العتاهية :

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي « من قبيلة عنزة » بالولاء أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية ولد بعين تمر ونشأ بالكوفة ثم سكن بغداد وتوفي بها في جمادى الآخرة - ترجم له الذهبي في سير النبلاء جزء (١٠ : ١٩٥) والطبري في الأمم الملوك (١٠ : ٢٧٨) والمسعودي في مروج الذهب (٣ : ٣٢٧) والأصفهاني في الأغاني والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد جزء (٦ : ٢٥٠) ، وابن خلكان في وفيات الأعيان جزء (١ : ٢١٩ : ٢٢٦) وابن حجر في لسان الميزان جزء (١ : ٤٢٦ : ٤٢٩) وابن كثير في البداية والنهاية (١٠ : ٢٦٥ : ٢٦٦) .

(١) القدال : مؤخر الرأس .

(٢) تخرمت : تقطعت .

وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى الْفَنَاءِ أُدْلَةً ،
وَإِذَا اعْتَبَرْتُ رَأَيْتُ خُطْبَ حَوَادِثِ
وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرِّجَالُ ، فَمَا أَرَى
وَإِذَا بَحَثْتُ عَنِ التَّقِيِّ وَجَدْتُهُ
وَإِذَا اتَّقَى اللَّهَ أَمُرُّ ، وَأَطَاعَهُ ،
وَعَلَى التَّقِيِّ ، إِذَا تَرَسَّخَ فِي التَّقَى ،
وَاللَّيْلُ يَذْهَبُ وَالنَّهَارُ ، تَعَاوَرَا
وَبَحَسْبُ مَنْ تَنْعَى إِلَيْهِ نَفْسُهُ
إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ ، فَأَنْتَ فِي
يَكِي الْجَدِيدِ وَأَنْتَ فِي تَجْدِيدِهِ ،
يَا أَيُّهَا الْبَطْرُ الَّذِي هُوَ فِي غَدٍ ،
حَذَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمُشْمَرُ فِي الْهُدَى ،
وَلَقَلَّ مَا تَلَقَّى أَغْرَ لِنَفْسِهِ
يَا تَاجِرَ الْغَيِّ الْمُضِرِّ بِرُشْدِهِ ،
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَمِيدِ بِمَنْه
لِلَّهِ يَوْمَ تَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ ،
يَوْمَ النَّوَازِلِ وَالزَّلَازِلِ وَالْحَوَا

فِي مَا تَنْكَرُ مِنْ تَصَرُّفِ جَالِي
يَجْرِينَ بِالْأَرْزَاقِ ، وَالْأَجَالِ
نَسَبًا يُقَاسُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
رَجُلًا ، يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفَعَالِ
فَيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمِ وَمَعَالِ
تَاجَانِ : تَاجُ سَكِينَةٍ ، وَجَلَالِ
بِالْخُلُقِ فِي الْإِدْبَارِ ، وَالْإِقْبَالِ^(١)
مِنْهُ بِأَيَّامِ خَلَّتْ ، وَلَيْسَالِ
عَبْرٍ لَهْنُ تَدَارُكُ ، وَتَوَالِ
وَجَمِيعُ مَا جَدَّدْتَ مِنْهُ ، فَبَالِ
فِي قَبْرِهِ ، مُتَفَرِّقُ الْأَوْصَالِ
وَأَرَى مِنْكَ طَوِيلَةَ الْأَرْسَالِ
مِنْ لَاعِبِ مَرِحَ بِهَا ، مُخْتَالِ
حَتَّى مَتَى بِالْغَيِّ أَنْتَ تَغَالِي
خَسِرْتَ ، وَلَمْ تَرْبِحْ يَدُ الْبَطَالِ
وَتَشِيبُ مِنْهُ ذَوَائِبُ الْأَطْفَالِ
مِلِّ فِيهِ ، إِذْ يَقْذِفُنَ بِالْأَحْمَالِ

(١) تعارراً : مناوبة .

يَوْمُ التَّغَابُنِ ، وَالتَّبَايُنِ وَالتَّنَا
يَوْمُ يَنَادَى فِيهِ كُلُّ مُضَلَّلٍ
لِلْمُتَّقِينَ هُنَاكَ نَزْلُ كَرَامَةٍ ،
زُمَرُ أَضَاءَتٍ لِلْحِسَابِ وَجُوهُهَا ،
وَسَوَابِقُ غُرٍّ ، مُحَجَّلَةٌ ، جَرَتْ
مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ كَانَ أَغْبَرَ نَاحِلًا ،
حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ ،
نَزَلُوا بِأَكْرَمِ سَيِّدٍ ، فَأَظْلَهُمْ
وَمِنْ النُّعَاةِ إِلَى ابْنِ آدَمَ نَفْسُهُ ،
مَا لِي أَرَاكَ لَحْرَ وَجْهِكَ مُخْلَقًا ،
قَسَتْ السُّؤَالَ ، فَكَانَ أَعْظَمَ قِيمَةً
كَنْ بِالسُّؤَالَ أَشَدَّ عَقْدَ ضَنَانَةٍ ،
وَصْنُ الْمَحَامِدِ مَا اسْتَطَعَتْ ، فَإِنَّهَا
وَلَقَدْ عَجَبْتُ مِنَ الْمُثْمَرِ مَا لَهُ ،
وَإِذَا امْرُؤٌ لَبَسَ الشُّكُوكَ بَعَزَمَهُ ،
وَإِذَا ادَّعَتْ خُدْعُ الْحَوَادِثِ قَسْوَةً ،
وَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِيَذَلِ وَجْهِكَ سَائِلًا ،
وَإِذَا خَشِيتَ تَعَدَّرًا فِي بَلَدَةٍ ،
وَأَصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ ، فَإِنَّمَا

زُلْ ، وَالْأُمُورِ عَظِيمَةَ الْأَهْوَالِ ^(١)
بِمَقْطَعَاتِ النَّارِ ، وَالْأَغْلَالِ
عَلَّتِ الْوُجُوهَ بِنَضْرَةٍ ، وَجَمَالِ
فَلَهَا بِرَيْقٍ عِنْدَهَا وَتَلَالِي
حُمُصَ الْبُطُونِ ، خَفِيفَةَ الْأَثْقَالِ
خَلَقَ الرِّدَاءَ ، مُرَقَّعَ السَّرْبَالِ ^(٢)
وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
فِي دَارِ مُلْكٍ جَلَالَةٍ ، وَظِلَالِ
حَرَكَ الْخُطَى ، وَطُلُوعِ كُلِّ هِلَالِ
أَخْلَقْتَ ، يَا دُنْيَا ، وَجُوهَ رِجَالِ
مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُّؤَالِ
مِمَّنْ يَضُنُّ عَلَيْكَ بِالْأُمُورِ
فِي الْوِزْنِ تَرْجَحُ بِذَلِ كُلِّ نَوَالِ
نَسِيَ الْمُثْمَرُ زِينَةَ الْإِقْبَالِ
سَلَكَ الطَّرِيقَ عَلَى عُقُودِ ضَلَالِ
شَهِدَتْ لَهُنَّ مَصَارِعُ الْأَبْطَالِ
فَابْذُلْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ ، الْمِفْضَالِ
فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

(١) التغابن : من تغابن القوم : خدع بعضهم بعضاً .

(٢) السربال : القميص .

* إنقسام أهل الدنيا :

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالى - :

« وانقسم بنو آدم في الدنيا إلى قسمين :

* أحدهما :

من أنكر أن يكون للعباد دار بعد الدنيا للشواب والعقاب ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس : ٨ ، ٧] .

وهؤلاء همهم التمتع في الدنيا ، واغتنام لذاتها قبل الموت ، كما قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد : ١٢] .

ومن هؤلاء من كان يأمر بالزهد في الدنيا ؛ لأنه يرى أن الاستكثار منها موجب الهم والغم ، ويقول : كلما كثر التعلق بها ، تأملت النفس بمفارقةا عند الموت ؛ فكان هذا غاية زهدهم في الدنيا .

* والقسم الثاني :

من يقر بدار بعد الموت للشواب والعقاب ، وهم المنتسبون إلى شرائع المرسلين ، وهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام :

أ - ظالم لنفسه .

ب - مقتصد .

ج - وسابق بالخيرات بإذن الله (١) .

[أ] الظالم لنفسه :

والظالم لنفسه : هم الأكثرون منهم ، وأكثرهم واقف مع زهرة الدنيا وزينتها ، فأخذها من غير وجهها ، واستعملها في غير وجهها ، وصارت الدنيا أكبر همه ، بها يرضى ، وبها يغضب ، ولها يوالى ، وعليها يعادى .
وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب ، والزينة والتفاخر والتكاثر ، وكلهم لم يعرف المقصود من الدنيا ، ولا أنها منزلة سفر ، يتزود منها لما بعدها من دار الإقامة ، وإن كان أحدهم يؤمن بذلك إيماناً مجملاً ، فهو لا يعرفه مفصلاً ، ولا ذاق ما ذاقه أهل المعرفة بالله في الدنيا ، مما هو أنموذج ما أدخر له في الآخرة .

[ب] المقتصد :

والمقتصد منهم : أخذ الدنيا من وجوهها المباحة ، وأدى واجباتها ، وأمسك لنفسه الزائد على الواجب يتوسع به في التمتع بشهوات الدنيا .
وهؤلاء قد اختلف في دخولهم في اسم الزهاد في الدنيا ، ولا عقاب عليهم في ذلك ؛ إلا أنه ينقص من درجاتهم في الآخرة بقدر توسعهم في الدنيا .

قال ابن عمر : لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله ، وإن كان كريماً عليه

(١) يشير بذلك إلى قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٣٢) ﴿ [فاطر : ٣٢] .

[ج] السابق بالخيرات بإذن الله :

وأما السابق بالخيرات بإذن الله : فهم الذين فهموا المراد من الدنيا ، وعملوا بمقتضى ذلك ، فعلموا أن الله إنما أسكن عباده فى هذه الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] .

وقال بعض السلف : « أيهم أزهد فى الدنيا ، وأرغب فى الآخرة » .
وجعل ما فى الدنيا من البهجة والنضرة محنة ، لينظر من يقف منهم معه ويركن إليه ، ومن ليس كذلك ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٧) ﴿ [الكهف : ٧] .
ثم بين انقطاعه وإنفاذه ، فقال : ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ (٨) ﴿ [الكهف : ٨] .

فلما فهموا أن هذا هو المقصود من الدنيا ، جعلوا همهم التزود منها للآخرة ، التى هى دار القرار ، فاكتفوا من الدنيا بما يكتفى به المسافر فى سفره ، كما كان النبى ﷺ يقول : « ما لى وللدنيا ، إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب قال فى ظل شجرة ^(١) ، ثم راح عنها وتركها » ^(٢) .
ووصى صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من الصحابة أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد راكب ^(٣) .

(١) قال فى ظل شجرة : يعنى نام بعد الظهر فى ظل شجرة . من القيلولة .

(٢) حديث صحيح : أخرجه الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » « ٥٥٤٤ » و« السلسلة الصحيحة » « ٤٣٨ » .

(٣) « جامع العلوم والحكم » للحافظ ابن رجب الحنبلى فى شرحه الحديث « ٣١ » .

عقوبة أهل الدنيا

توعد الله تعالى أهل الدنيا الذين آثروها على الدار الآخرة ، ورضوا واطمأنوا بها

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس : ٧ ، ٨] .

« يقول تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ، ولا يرجون في لقائه شيئاً ، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأننت إليها نفوسهم . قال الحسن : والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها ، وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها ، والشرعية فلا يأتَمرون بها . فإن ماوَاهم يوم معادهم النار ، جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسله واليوم الآخر » ^(١) .

وقال تعالى :

﴿ مَنْ تَبَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤَتْهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) ﴾ [الشورى : ٢٠] .

« أى من طلب بما رزقناه حرثاً لآخرفته ، فأدى حقوق الله ، وأنفق في إعزاز الدين ، فإنما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشر إلى سبعمئة فأكثر .

(١) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٣٥١) .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ﴾ :

أى طلب بالمال الذى آتاه الله رياسة الدنيا والتوصل إلى المحظورات ، فإننا لا نحرمة الرزق أصلاً ، ولكن لا حظ له فى الآخرة أصلاً

قال القشيرى : والظاهر أن الآية فى الكافر ، يوسع له فى الدنيا ، أى لا ينبغى له أن يغتر بذلك ؛ لأن الدنيا لا تبقى ^(١) .

وقال تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) ﴾ [الإسراء : ١٨ ، ١٩] .

« يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له ، بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء ، وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات ؟ ، فإنه قال :

﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ ﴾ : أى فى الآخرة .

﴿ يَصْلَاهَا ﴾ : أى يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه .

﴿ مَذْمُومًا ﴾ : أى فى حال كونه مذموماً على سوء تصرفه وصنيعه ، إذا

اختار الفانى على الباقي .

﴿ مَدْحُورًا ﴾ : مبعداً مقصياً حقيراً ذليلاً مهاناً

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ﴾ : أى أراد الدار الآخرة وما فيها من

(١) « تفسير القرطبي » (١٨ / ١٦) .

النعيم والسرور .

﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ : أى طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ .
 ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ : أى قلبه مؤمن ، أى مصدق موقن بالثواب والجزاء
 ﴿ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾
 [النازعات : ٣٧ ، ٣٩] .

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴾ : أى تمرد وعتى .

﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ : أى قدمها على أمر دينه وأخراه .

﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ : أى فإن مصيره إلى الجحيم ، وإن
 مطعمه من الزقوم ، ومشربه من الحميم » (٢) .

وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا رأيت الله
 تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك
 منه استدراج » (٣) .

« أى أخذ بتدريج واستنزال من درجة إلى أخرى ، فكل فعل معصية قابليها
 بنعمه وأنساه الاستغفار ، فيدنيه من العذاب قليلاً قليلاً ، ثم يصبه عليه صباً .
 قال إمام الحرمين : إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم فى النار ، فلا تأمن

(١) « تفسير ابن كثير » (٣١/٣ ، ٣٢) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٤١٠ / ٤) .

(٣) حديث صحيح : أخرجه أحمد فى « المسند » والطبرانى فى « الكبير » والبيهقى فى « الشعب » ،
 وانظر « صحيح الجامع » (٥٧٥) .

على نفسك ؛ فإن الأمر على خطر ، فلا تدري ماذا يكون وما سبق لك في الغيب ، ولا تغتر بصفاء الأوقات ؛ فإن تحتها غوامض الآفات

والاستدراج : الأخذ بالتدريج لا مباغتة .

والمراد هنا : تقرب الله العبد إلى العقوبة شيئاً فشيئاً .

واستدراجه تعالى للعبد : أنه كلما جدد ذنباً ، جدد له نعمة ، وأنساه الاستغفار ، فيزداد أشراً وبطراً ، فيندرج في المعاصي بسبب تواتر النعم عليه ؛ ظاناً أن تواترها تقرب من الله ، وإنما هو خذلان وتباعد ^(١) .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ قال : « من كانت الآخرة همه : جعل الله غناه في قلبه ، وجمع شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه : جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأت من الدنيا إلا ما قُدر له » ^(٢) .

وهذا الحديث أبلغ في زجر من جعل الدنيا همه ونيته ، إذ لا يناله منها إلا ما كتبه الله تعالى له ، مع ما يجازيه به الله تعالى من تفريق شمله ، ولزوم الفقر له .

موعظة :

قال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه :

« ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن اليوم عمل ولا بنون » .

(١) « فيض القدير » (٣٥٥/١) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه الترمذى ، وانظر « صحيح الجامع » (٦٣٨٦) ، و« السلسلة الصحيحة » (٩٤٩) .

حساب ، وغداً حساب ولا عمل » ^(١) .

وقال الحسن :

« إذا رأيت الناس يتنافسون في الدنيا فنافسهم في الآخرة ؛ فإنها تذهب دنياهم وتبقى الآخرة » ^(٢) .

الآخرة أقرب من الدنيا :

قال محمد بن الحسين : حدثني فضيل بن عبد الوهاب قال :

سمعت أختي يوماً تقول :

الآخرة أقرب من الدنيا ، وذلك أن الرجل يهمل بطلب الدنيا فلعله أن ينشئ لذلك سفرأ يكون فيه تعبٌ بدنه وإنفاقٌ ماله ثم لعله أن لا ينال بُغيته .

والرجل يطلب الآخرة ، فمنتهى طلبته في حُسن نيته حيث ما كان ؛ من غير أن ينشئ سفرأ أو ينفق مالا أو يتعب بدنأ ، ما هو إلا أن يجمع على طاعة الله ، فإذا هو قد أدرك ما عند الله .

قال : وسمعتها تقول :

ما بيننا وبين أن نرى السرور أو ننادى بالويل والشبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان ، فانظروا أيَّ عبيدٍ تكونون حينئذ ؟ .

قال : ثم مرخت وغشى عليها ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري معلقاً في « كتاب الرقائق » « باب في الأمل وطوله » .

(٢) « الزهد » لأحمد (٣٩٩) .

(٣) صفة الصفوة « ١٨٩/٢ - ١٩٠ » .

يا جامع المال لوارثه لأبي العتاهية

أما بيوتك ، في الدنيا ، فواسعة ،
وليت ما جمعت كفاك من نشب
أيفرح الناس بالدنيا ، وقد علموا
من كان مغتبطاً فيها بمنزلة ،
وكل ناصر دنيا سوف تخذله ،
مالي أرى الناس لا تسلو ضغائنهم
إذا رأيت لهم جمعاً تسر به ،
يا جامع المال ، في الدنيا ، لوارثه ،
لا تمسك المال ، وأسترضي الإله به ،
فليت قبرك بعد الموت يتسع
ينجيك من هول ما أنت لمطلع
أن المنازل ، في لذاتنا ، قلع
فإنه لسواها سوف ينتجع
وكل حبل عليها سوف ينقطع
ولا قلوبهم في الله تجتمع
فإنهم حين تبلو شأنهم شيع
هل أنت بالمال ، بعد الموت تنتفع
فإن حسبك منه الرئي والشبع

٨ - التحذير من الافتتان بالدنيا

لقد أخبر النبي ﷺ أن الدنيا ستفتح على الناس .

فعن أبي الدرداء ، رضى الله تعالى عنه ، قال :

خرج علينا رسول الله ﷺ ، ونحن نذكر الفقر ونتخوفه ، فقال :

« آ الفقر تخافون ؟ والذى نفسى بيده لتصبن عليكم الدنيا صبا ، حتى لا يُزيغ قلب أحدكم إن إزاغة إلا هى ، وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سواء » ^(١) .

* وعن أبى جحيفة رضى الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ قال :

« ستفتح عليكم الدنيا حتى تنجدوا بيوتكم كما تنجد الكعبة ، فأنتم اليوم خير من حينئذ » ^(٢) .

إخباره هذا من معجزاته ﷺ ؛ فقد أخبر ﷺ بأن الدنيا ستفتح على الناس من بعده ، وهذا من صدق نبوته ﷺ ، فقد فتحت الدنيا على الناس حتى أنهم لم يجدوا لأموالهم مصارف إلا فى تزيين بيوتهم وما إلى ذلك .

(١) حديث حسن : أخرجه ابن ماجه ، وانظر « صحيح الجامع » (٩) و « السلسلة الصحيحة » ، (٦٨٨) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه الطبرانى فى « الكبير » ، وانظر « صحيح الجامع » (٣٦٠٨) و « السلسلة الصحيحة » (١٨٨٣) .

تحذير الله تعالى من الدنيا :

ولقد حذر الله تبارك وتعالى من الافتتان بالدنيا والاعتزاز بها ...

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣) ﴾ [لقمان : ٣٣] .

« يقول تعالى منذراً للناس يوم المعاد ، وأمر لهم بتقواه والخوف منه ، والخشية من يوم القيامة ، حيث ﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ﴾ أى لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه ، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه .

ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله :

﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ أى لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة .

﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ يعنى الشيطان ^(١) .

« وهو الذى يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ، ويلهيهم عن الآخرة » ^(٢) .

* وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) ﴾ [فاطر : ٥] .

(١) « تفسير ابن كثير » (٣ / ٣٨٨) .

(٢) « تفسير القرطبي » (١٤ / ٨١) .

« هذا وعظ للمكذبين للرسول بعد إيضاح الدليل على صحة قوله : إن البعث والثواب والعقاب حق .

﴿ فَلَا تُغْرَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ .

قال سعيد بن جبير : غرور الحياة الدنيا : أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة ^(١) .

تحذير النبي ﷺ من الدنيا :

* عن مصعب بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « احذروا الدنيا ؛ فإنها خضرة حلوة » ^(٢) .

قوله ﷺ : « احذروا الدنيا » : أى الاسترسال فى شهواتها ، والإكباب على ملاذها ، واقتصروا منها على الكفاف .

« فإنها خضرة » :

أى حسنة المنظر ، مزينة فى العيون ، آخذة بمجامع القلوب .
« حلوة » :

أى حلوة المذاق ، صعبة الفراق .

قال فى « المطامح » :

فيه استعارة مجازية ومعجزة نبوية ؛ فخضرتها عبارة عن زهرتها وحسنها ، وحلاوتها كناية عن كونها محببة للنفوس مزينة للناظرين ، وهو إخبار عن

(١) « تفسير القرطبي » (١٤ / ٣٢٢) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد فى « الزهد » ، وانظر « صحيح الجامع » (١٩٠) و « السلسلة الصحيحة » (٩١٠) .

غيب واقع .

فإن قلت : إخباره عنها بخضرتها وحلاوتها يناقضه إخباره في عدة أخبار بقذارتها ، وأن الله جعل البول والغائط مثلاً لها ؟ .

قلت : لا منافاة ؛ فإنها جيفة قدرة في مرأى البصائر ، وحلوة خضرة في مرأى الأبصار ، فذكر ثم أنها جيفة قدرة للتنفير ، وهنا كونها حلوة خضرة للتحذير ، فكأنه قال : لا تغرنكم بحلاوتها وخضرتها ؛ فإن حلاوتها في الحقيقة مرارة ، وخضرتها ييس .

فالله در كلام المصطفى ﷺ ما أبدعه ^(١) .

* وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال :

« لا تتخذوا الضيعة ، فترغبوا في الدنيا » ^(٢) .

« يعنى لا يتخذ الضياع من خاف على نفسه التوغل في الدنيا فيلهو عن ذكر الله ، فمن لم يخف ذلك لكونه يثق من نفسه بالقيام بالواجب عليه فيها فله الاتخاذ » ^(٣) .

* وعن أبي حميد الساعدي ، رضى الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ قال :

« أجملوا في طلب الدنيا ؛ فإن كلاً ميسر لما كُتب له » ^(٤) .

« أى اطلبوا الرزق طلباً جميلاً ، بأن ترفقوا ، أى تحسنوا السعى في

(١) « فيض القدير » (١ / ١٨٨) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، والترمذى ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (٧٠٩١) و« السلسلة الصحيحة » (١٢) .

(٣) « فيض القدير » (٦ / ٣٨٧) .

(٤) حديث صحيح : أخرجه ابن ماجه في « سننه » والحاكم في « المستدرک » والطبرانی في « الكبير » والبيهقي في « السنن » وانظر « صحيح الجامع » (١٥٥) و« السلسلة الصحيحة » (٨٩٨) .

نصيبكم منها ، بلا كد وتعب وتكالب وإشفاق

ومن إجماله : اعتماد الجهة التي هيأها الله ويسرها له ويسرها لها فيقنع بها ولا يتعدها .

ومنه : أن لا يطلب بحرص وقلق وشره ووله ، حتى لا ينسى ذكر ربه ولا يتورط في شبهه ، فيدخل فيما أثنى الله تعالى عليهم بقوله تعالى :

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور - ٣٧] .

ثم بين ﷺ وجه الأمر بذلك بقوله : « فَإِنْ كَلَّا مُيسر لما كُتِب له » :
يعنى الرزق المقدر له سيأتيه

والمرء يُرزق لا من حيث حيلته ، ويصرف الرزق عن ذى الحيلة
الدهى » (١) .

* وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل » .

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا
تنتظر المساء . وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » (٢) .

« قال الطيبى : ليست « أو » للشك ، بل للتخيير والإباحة ، والأحسن أن
تكون بمعنى بل .

فشبه الناسك السالك بالغريب الذى ليس له مسكن يأويه ولا مسكن

(١) « فيض القدير » (١ / ١٦٢) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب الرقاق » « باب قول النبى ﷺ : كن فى الدنيا
كأنك غريب ... » .

يسكنه ، ثم ترقى وأضرب عنه إلى « عابر سبيل » لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مروية ، ومفاوز مهلكة ، وقطاع طريق ، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لحظة ، ومن ثم عقبه بقوله : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ... إلخ » .

والمعنى : استمر سائراً ولا تفتقر ؛ فإنك إن قصرت انقطعت وهلكت في تلك الأودية . وهذا معنى المشبه به ، وأما المشبه فهو قوله : « وخذ من صحتك لمرضك » أى أن العمر لا يخلو عن صحة ومرض ، فإن كنت صحيحاً فسر سير القصد وزد عليه بقدر قوتك ما دامت فيك قوة ، بحيث يكون ما بك من تلك الزيادة قائماً مقام ما لعله يفوت حاله المرض والضعف .

وقال ابن بطال :

لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس ، بل هو مستوحش منهم ؛ إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه مستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف ، وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته عليه وتخفيفه من الأثقال غير مثبت بما يمنعه من قطع سفره ، معه زاده وراحلته يبلغانه إلى بغيته من قصده ، شبه بهما .

وفى ذلك إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا ، وأخذ البلغة منها والكفاف ، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره ، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل .

وقال غيره : هذا الحديث أصل في الحث على الفراغ عن الدنيا ، والزهد فيها ، والاحتقار لها ، والقناعة فيها بالبلغة .

وقال النووى : معنى الحديث : لا تركز إلى الدنيا ، ولا تتخذها وطناً ،

ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه » (١) .

تحذير السلف من الدنيا :

* قال عبد الرحمن بن عوف :

« دخلت على أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى مرضه الذى توفى فيه ، فسلمت عليه ، فقال : رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل ، وهى جائئة ، وستتخذون ستور الحرير ، ونضائد الديباج ، وتألون ضجائع الصوف الأزرى ، كأن أحدكم على حسك السعدان ، والله لئن يقدم أحدكم فيضرب عنقه - فى غير حد - خير له من أن يسبح فى غمرة الدنيا » (٢) .

* وروى المبارك بن فضالة عن الحسن أنه كان إذا تلا هذه الآية : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ .

قال : من قال ذا ؟ .

قال : من خلقها وهو أعلم بها .

قال : وقال الحسن : إياكم وما شغل من الدنيا ؟ فإن الدنيا كثيرة الأشغال ، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب » (٣) .

* وقال أبو موسى رضى الله تعالى عنه :

« ما ينتظر من الدنيا إلا كلاً محزناً ، أو فتنة تنتظر » (٤) .

(١) « فتح البارى » (١١ / ٢٣٤) .

(٢) « الحلية » (١ / ٣٤) .

(٣) « الزهد » لابن المبارك (١٨٩) .

(٤) « الحلية » (١ / ٢٦٠) .

* وقال عروة بن الزبير :

« إذا رأى أحدكم شيئاً من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله ، وليأمرهم بالصلاة ، وليصطبر عليها .

قال : قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَهُمْ فِيهِ ﴾ ^(١) . [طه - ١٣١] .

* وقال أبو حازم سلمة بن دينار :

« ما فى الدنيا شئ يسرك ، إلا وقد ألزق به شئ يسؤك » ^(٢) .

* وقال أبو أحمد الزبيرى :

« كتب بعض إخوان سفيان إلى سفيان : أن عظمى وأوجز . فكتب إليه سفيان : بسم الله الرحمن الرحيم ، عفانا الله وإياك من السوء كله ، يا أخى إن الدنيا غمها لا يفنى ، وفرحها لا يدوم ، وفكرها لا ينقضى ، اعمل لنفسك حتى تنجو ، ولا تتوان فتعطب ، والسلام » ^(٣) .

* وقال داود الطائى :

« توحش من الدنيا كما تتوحش من السباع » ^(٤) .

* وقال الفضيل بن عياض :

« حزن الدنيا يذهب بهم الآخرة ، وفرح الدنيا للدنيا يذهب بحلاوة العبادة » ^(٥) .

(١) « الحلية » (١٧٩ / ٢) .

(٢) « الحلية » (٢٣٩ / ٣) .

(٣) « الحلية » (١٩ / ٧) .

(٤) « الحلية » (٣٤٣ / ٧) .

(٥) « الحلية » (١٠٠ / ٨) .

*** وقال بشر بن الحارث :**

« قل لمن طلب الدنيا تهياً للذل » ^(١) .

*** وقال أبو سليمان الداراني :**

« جوع قليل ، وسهر قليل ، وبرد قليل ، يقطع عنك الدنيا » ^(٢) .

*** وقال يحيى بن معاذ :**

« مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب .

وقال : يا ابن آدم لا يزال دينك متمزقاً ما دام القلب بحب الدنيا متعلقاً » ^(٣) .

*** وقال سري السقطي :**

« لا تركز إلى الدنيا فينقطع من الله حبلك ، ولا تمش في الأرض مرحاً فإنها عن قليل قبرك » ^(٤) .

*** وقال أبو هاشم الزاهد :**

« لو أن الدنيا قصور ويساتين ، والآخرة أكواخ ، لكانت الآخرة أهلاً أن تؤثر على الدنيا ؛ لبقاء تلك ونفاد هذه » ^(٥) .

*** وقال الفضيل بن عياض :**

« جُعل الشر كله في بيت ، وجُعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله

(١) « المحلية » (٨ / ٣٥٢) .

(٢) « المحلية » (٩ / ٢٥٧) .

(٣) « المحلية » (١٠ / ٥٢) .

(٤) « المحلية » (١٠ / ١٢١) .

(٥) « المحلية » (١٠ / ٢٢٥) .

- فى بيت ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا » ^(١) .
- * وقال أبو سليمان الداراني :**
- « إذا سكنت الدنيا فى القلب ترحلت منه الآخرة » ^(٢)
- * وقال ابن السماك :**
- « من أذاقته الدنيا حلاوتها بميله إليها ، جرعتة الآخرة مرارتها بمجانبتها عنها » ^(٣) .
- * وقال رجل لأبى سهل الحارث الصوفى : أوصنى .**
- فقال : نم عن الدنيا وزهرتها ، تستيقظ بروح الآخرة ونعيمها » ^(٤) .
- * وقال الكتسانى :**
- « كن فى الدنيا بيدك ، وفى الآخرة بقلبك » ^(٥) .
- * وقال الفضيل بن عياض :**
- « تفكروا واعملوا من قبل أن تندموا ، ولا تغفروا بالدنيا ، فإن صحيحها يسقم ، وجديدها يلى ، ونعيمها يفنى ، وشبابها يهرم » ^(٦) .
- * وقال محمد بن يوسف بن معدان :**
- « لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا .
- وكان يتمثل كثيراً بهذا البيت :
- إذا كنت فى دار الهوان فإنما ينجيك من دار الهوان اجتنابها » ^(٧)

(٢) « الزهد الكبير » (١٣٥) .
 (٤) « الزهد الكبير » (١٤٠) .
 (٦) « الزهد الكبير » (١٩٧) .

(١) « الزهد الكبير » (١٣٣) .
 (٣) « الزهد الكبير » (١٣٧) .
 (٥) « الزهد الكبير » (١٤١) .
 (٧) « الحلية » (١٠ / ٣٩٠) .

(١) من يريد سعة الرحمن لإبراهيم بن العباس الصولي

<p>فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يُفْنِينَا وَيُفْنِيهَا فَسَوْفَ يَوْمًا عَلَى رَغَمٍ يُخْلِيهَا وَبُلْغَةٍ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيهَا الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ بَانِيهَا وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابِتٌ فِيهَا وَالخَمْرُ يَجْرِي رَحِيقًا فِي مَجَارِيهَا تُسَبِّحُ اللَّهَ جَهْرًا فِي مَغَانِيهَا فِي ظِلِّ طُوبَى رَفِيعَاتِ مَبَانِيهَا وَجِبْرِئِيلُ يُنَادِي فِي نَوَاحِيهَا بِرُكْعَةٍ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ يُخْفِيهَا فِي يَوْمٍ مَسْغَبَةٍ عَمَّ الْغَلَا فِيهَا أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعِيشَةِ إِلَّا كَانَ يَكْفِيهَا ثَلَاثَةٌ عَنْ يَمِينٍ بَعْدَ ثَانِيهَا</p>	<p>لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا لَا تَشْبَعُ النَّفْسُ مِنْ دُنْيَا تَجْمَعُهَا إِعْمَلْ لِدَارِ الْبَقَا رِضْوَانُ خَازِنُهَا أَرْضٌ لَهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِينَتُهَا أَنْهَارُهَا لَبَنٌ مَحْضٌ وَمِنْ عَسَلِ وَالطَّيْرُ تَجْرِي عَلَى الْأَغْصَانِ عَاكِفَةٌ مَنْ يَشْتَرِي قُبَّةً فِي الْعَدْنِ عَالِيَةً دَلَالُهَا الْمُصْطَفَى وَاللَّهُ بَائِعُهَا مَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ فِي الْفِرْدَوْسِ يَعْمُرُهَا أَوْ سَدَّ جَوْعَةَ مُسْكِينٍ بِشَبْعَتِهِ النَّفْسُ تَطْمَعُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ وَاللَّهُ لَوْ قَنَعَتْ نَفْسِي بِمَا رَزَقَتْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ أَيْمَانٌ مُكْرَرَةٌ</p>
--	--

(١) لإبراهيم بن العباس الصولي ، أحد شعراء العصر العباسي الثاني ، انظر الطرائف الأدبية بتحقيق عبد العزيز الميمنى ، وشعراء الدعوة الإسلامية ، ترجم له المسعودى فى مروج الذهب وابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ١ / ٩ : ١١ ، ونزهة الجليس ٣٦٥ / ٢ .

لَوْ أَنَّ فِي صَخْرَةٍ صَمًا مُلَمَلَمَةً
رَزَقًا لَعَبْدٍ بَرَاهاَ اللَّهُ لَا نَفَلَقَتْ
أَوْ كَانَ فَوْقَ طَبَاقِ السَّبْعِ مَسْلُكُهَا
حَتَّى يَنَالَ الذِّى فِي اللُّوحِ خُطُّ لَهُ
أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا
لَادَارٍ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا
« تَجْنِي الثَّمَارَ غَدًا فِي دَارٍ مَكْرُمَةٍ
« فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ دَائِمًا أَبَدًا
« الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرَهُ
« فَيَا لَهَا مِنْ كَرَامَاتٍ إِذَا حَصَلَتْ
« وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَغُرُّكَ زَهْرَتُهَا
« فَأَرَبًا بِنَفْسِكَ لَا يَخْدَعُكَ لَامِعُهَا
« خَدَّاعَةٌ لَمْ تَدُمْ يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ
« فَانْظُرْ وَفَكِّرْ فَكَمْ غَرَّتْ ذَوِي طَيْشٍ
« اعْتَزَّ قَارُونَ فِي دُنْيَاهُ مِنْ سَفَاهِهِ
« بَيْتُ لَيْلَتِهِ سَهْرَانٌ مُنْشَغَلًا
« وَفِي النَّهَارِ لَقَدْ كَانَتْ مُصِيبَتُهُ
« فَمَنْ بَنَاهَا بِخَيْرِ طَابَ مَسْكَنُهُ
« وَالنَّاسُ كَالْحَبِّ وَالْدُّنْيَا رَحَى تَصْبِتُ

فِي الْبَحْرِ رَاسِيَةٌ مِلْسٌ نَوَاحِيهَا
حَتَّى تُؤَدِّيَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا
لَسَهْلَ اللَّهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيهَا
فَإِنْ أَتَتْهُ إِلَّا سَوْفَ يَأْتِيهَا
وَدَارُنَا لِخَرَابِ الْيَوْمِ نَبِيهَا
إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَنْبِيهَا
لَا مَنْ فِيهَا وَلَا التَّكْدِيرُ يَأْتِيهَا
« بَلَا أَنْقَطَاعٍ وَلَا مَنْ يُدَانِيهَا
« وَلَمْ يَدْرِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ مَا فِيهَا
« وَيَالَهَا مِنْ نَفُوسٍ سَوْفَ تَحْوِيهَا
« فَعَنْ قَرِيبٍ تَرَى مُعْجَبُكَ ذَاوِيهَا
« مِنَ الزُّخَارِفِ وَاحْذَرِ مِنْ دَوَاهِيهَا
« وَلَا اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَالٍ لَيَالِيهَا
« وَكَمْ أَصَابَتْ بِسَهْمِ الْمَوْتِ أَهْلِيهَا
« وَكَانَ مِنْ خَمَرِهَا يَا قَوْمُ ذَاتِيهَا
« فِي أَمْرِ أَمْوَالِهِ فِي الْهَمِّ يَفْدِيهَا
« تَحْزُنُ فِي قَلْبِهِ حَزًّا فَيُخْفِيهَا
« وَمَنْ بَنَاهَا بِشَرِّ خَابَ بَانِيهَا
« لِلْعَالَمِينَ وَكَفُّ الْمَوْتِ يُلْهِمُهَا

فَلَا الْإِقَامَةَ تُنْجِي النَّفْسَ مِنْ تَلَفٍ
وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا زَوْرٌ يُصْبِحُهَا
تِلْكَ الْمَنَازِلُ فِي الْآفَاقِ خَاوِيَةٌ
أَيُّنَ الْمُلُوكِ الَّتِي عَنْ حَظِّهَا غَفَلْتُ
أَفْنَى الْقُرُونِ وَأَفْنَى كُلِّ ذِي عُمُرٍ
فَالْمَوْتُ أَحَدُكَ بِالْدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا
لَوْ أَنَّهَا عَقَلَتْ مَاذَا يُرَادُ بِهَا
نَلْهُوًا وَنَأْمَلُ آمَلًا نُسْرِبُهَا
فَاغْرَسَ أَصُولَ التَّقَى مَا دَمَتْ مُقْتَدِرًا

وَلَا الْفِرَارُ مِنَ الْأَحْدَاثِ يُنْجِيهَا
مِنَ الْمَنِيَّةِ يَوْمًا أَوْ يَمَسِّيَهَا
أَضْحَتْ خَرَابًا وَذَاقَ الْمَوْتَ بَانِيَهَا
حَتَّى سَقَاَهَا بِكَأْسِ الْمَوْتِ سَاقِيَهَا
كَذَلِكَ الْمَوْتُ يُفْنِي كُلَّ مَا فِيهَا
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ تَرْكِ مَا فِيهَا
مَا طَابَ عَيْشُ لَهَا يَوْمًا وَيُلْهِيَهَا
شَرِيعَةُ الْمَوْتِ تَطْوِينًا وَتَطْوِيَهَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ لَاقِيَهَا

موعظة

قال موهب بن عبد الله :

« لما استخلف عمر بن عبد العزيز ، كتب إليه الحسن البصرى كتاباً ، بدأ فيه بنفسه ، أما بعد :

فإن الدنيا دار مخيفة ، إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة ، واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة ، من أكرمها يهن ، ولها فى كل حين قتيل ، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء ، خيفة طول البلاء . والسلام » (١) .

« فانظر يا أخى :

حال الدنيا كيف يحول .

ونعيمها كيف يذهب ويزول .

والمسعود من رأى عيبها وفر منها .

والمصائب فى الدنيا أعداد :

فواحد يصاب فى الأموال والأولاد .

وآخر يعرى من الإسلام بالطرد والإبعاد » (٢) .

نسأل الله تعالى السلامة من الدنيا ، ونعوذ به تعالى من الاغترار بها .

(١) « الحلية » (٢ / ١٤٨) .

(٢) « بحر الدموع » لابن الجوزى / (٩٧) ، دار الصحابة للتراث بطنطا .

الخاتمة

قال الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٠) [النحل : ٣٠] .

« أى من أحسن عمله فى الدنيا أحسن الله إليه عمله فى الآخرة والدنيا .
ثم أخبر بأن دار الآخرة خير ، أى من الحياة الدنيا ، والجزاء فيها أتم من
الجزاء فى الدنيا » (١) .

يا أخى :

« إياك والدنيا ، فإن جهل الدنيا مبتوت ، واقنع منها بالقليل ، وأعلم بأنك
تموت » (٢) .

نحن بحاجة لعلو الهمة ، وأن نرتفع لمستوى إسلامنا ، وديننا ، ولا نتخذع
بزخرف فان ، وعارية مسترجعة ، ودنيا لا بقاء لها ، ولا وفاء ، وننصبغ
بصبغة الإسلام ، ونحيا حياة الإيمان ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (١٦٣) [الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣] ، فهيا بنا نتعرف على أحكام الشريعة حتى تكون
على بصيرة من أمرنا ، وأمر الناس ، وهيا بنا لنخلط الرغبة بالرهبة ،
والإلحاف بالمسألة ، ونتابع العلم النافع بعمل صالح ، ونقدم الأهم على المهم
فى : العلم ، والعمل ، والدعوة إلى الله ، ونخاطب الناس على قدر عقولهم ،

(١) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٤٩٠) .

(٢) « بحر الدموع » (٧٣) .

ونصلح دنيأ الناس بدين الله ، حتى نتقل نحن وهم من هذه الدار بسلام إلى دار السلام ^(١) .

وبعد :

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

هذا آخر ما تيسر لنا جمعه وكتابته في :

[وصف الدنيا في الكتاب والسنة]

ولعلك أخى فى الله قد رأيت أننا لم نتعرض فى هذا الكتاب للكلام عن الزهد فى الدنيا ، وهذا لأنه سيفرد للزهد كتاباً آخر بعنوان : « حقيقة الزهد » .

نتحدث فيه عن تعريف الزهد وبيان حقيقته ، وفضله وما إلى ذلك ...

والله تعالى أسأل القبول والنفع ، إنه سميع مجيب الدعاء .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو الحارث السويضي السلفي

خالد بن رمضان حسن جاب الله

(١) نقلاً من كتاب « هيا بنا نؤمن ساعة » للشيخ / سعيد عبد العظيم - حفظه الله - .

المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - صحيح مسلم ، شرح الإمام النووي .
- ٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .
- ٤ - السلسلة الصحيحة للشيخ / ناصر الدين الألباني رحمه الله .
- ٥ - الزهد ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، للإمام / أحمد بن حنبل .
- ٦ - لسان العرب ، لابن منظور .
- ٧ - الكشف ، للزمخشري .
- ٨ - البحر المحيط ، لأبي حيان .
- ٩ - الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي .
- ١٠ - في ظلال القرآن ، سيد قطب رحمه الله .
- ١١ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للعلامة المناوي .
- ١٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم أحمد الأصبهاني .
- ١٣ - المواعظ والمجالس « محقق » لابن الجوزي .
- ١٤ - جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر .
- ١٥ - مهلاً يا جامع الدنيا ، محمد بن أحمد سيد أحمد .
- ١٦ - جامع العلوم والحكمة ، للحافظ ابن رجب الحنبلي .
- ١٧ - بحر الدموع « محقق » لابن الجوزي .

الفهرس

رقم الصفحة

٥	* المقدمة
٨	١ - تعريف الدنيا
١١	٢ - وصف الدنيا ومثلها فى القرآن الكريم
١١	* أنها متاع
١٤	* أنها لعب ولهو وزينة وتفاخر
١٩	* أنها كماء أنزله الله تعالى من السماء
٢٠	* فائدة
٢٢	٣ - وصف الدنيا ومثلها فى السنة المشرفة
٢٢	* هوانها على الله عز وجل
٢٣	* أن الله تعالى جعلها قليلاً
٢٤	* أن ما يأكله الناس جعل مثل لها
٢٥	* أنها متاع
٢٦	* أنها حلوة خضرة
٢٧	* أنها سجن المؤمن وجنة الكافر
٢٧	* أنها ملعونة
٢٩	٤ وصف الدنيا ومثلها فى أقوال السلف

٣٦	٥ - متاع الدنيا وزينتها .
٤٠	* خير متاع الدنيا
٤١	* ما يُعين على أمر الدنيا والآخرة .
٤٢	* موعظة .
٤٤	٦ - علم الدنيا وعلم الآخرة .
٤٧	٧ - أهل الدنيا وأهل الآخرة .
٥٣	* انقسام أهل الدنيا .
٥٦	* عقوبة أهل الدنيا .
٦٠	* موعظة .
٦٢	٨ - التحذير من الافتتان بالدنيا .
٦٣	* تحذير الله تعالى من الدنيا .
٦٤	* تحذير النبي ﷺ من الدنيا .
٦٨	* تحذير السلف من الدنيا .
٧٥	* موعظة .
٧٦	* الخاتمة .
٧٧	* وبعد
٧٨	* المراجع .
٧٩	* الفهرس .

١٠٠ من التاريخ

❖ وصف الدنيا في الكتاب والسنة

١٥ العلاقات الزوجية وحلول عيالة

□ رسالة تعليم الكسوة للشيخ ١٤٩١

□ التعلّفات حول معاني الصفات والاصطفااف

1940

كيف نعالج العادة السيئة

کتابخانه عمومی

الإسلام والبيئة

١٠٠

□ التمسيد بالثوب على الأجزاء المصابة

التصنيف: الخطوط العريضة

[illegible]

1940

2019 10 10 10:10:10

A line drawing of a landscape. In the foreground, there is a fence made of vertical posts and horizontal rails. Behind the fence, there are several trees of varying heights and shapes. The background is a simple horizontal line representing the horizon. The drawing is done in a sketchy, line-art style.

1. The first part of the document is a list of names and titles, including "The Hon. Mr. Justice" and "The Hon. Mr. Justice".

1931

1. The first part of the document is a list of names and titles, including "The Hon. Mr. Justice" and "The Hon. Mr. Justice".

311

(Faint musical notation)

۱۲۳۴۵۶۷۸۹۱۰۱۱۱۲۱۳۱۴۱۵۱۶۱۷۱۸۱۹۲۰۲۱۲۲۲۳۲۴۲۵۲۶۲۷۲۸۲۹۳۰۳۱۳۲۳۳۳۴۳۵۳۶۳۷۳۸۳۹۴۰۴۱۴۲۴۳۴۴۴۵۴۶۴۷۴۸۴۹۵۰۵۱۵۲۵۳۵۴۵۵۵۶۵۷۵۸۵۹۶۰۶۱۶۲۶۳۶۴۶۵۶۶۶۷۶۸۶۹۷۰۷۱۷۲۷۳۷۴۷۵۷۶۷۷۷۸۷۹۸۰۸۱۸۲۸۳۸۴۸۵۸۶۸۷۸۸۸۹۹۰۹۱۹۲۹۳۹۴۹۵۹۶۹۷۹۸۹۹۱۰۰

١٧ في حيدرآباد الخيبر، ١٩٦١

0347247.080449.تاریخ: ۱۳۹۸/۰۸/۰۹